

سورة المائدة

مدنية [إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع]

وهي مائة وعشرون آية [نزلت بعد الفتح]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْاَنْعَامِ اِلَّا مَا يَتَلَقَّ عَلَيْكُمْ عِدْرٌ مُّحَلٌّ
الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ اِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١٦٧﴾﴾ :

يقال: وفى بالعهد وأوفى^(١) به ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والعقد: العهد الموثق، شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطّية [من البسيط]:
قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكِرْبَا^(٢)
وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف، وقيل: هي

(١) قال المصنف: «يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم» قال أحمد: ورد في الكتاب العزيز «وفى» بالتضعيف في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَبِئُكُمُ الَّذِي وَقَفَ﴾ وورود أوفى كثير. ومنه (أوفوا بالعقود) وأما (وفى) ثلاثياً فلم يرد إلا في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لأنه بنى أفعال التفضيل من وفى، إذ لا يبنى إلا من ثلاثي.

(٢) قوم إذا عقدوا عقداً لِحارهم شدوا العنجاج وشدوا فوقه الكربا
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
للحطّية. والعنجاج - ككتاب -: حبل يشد في أسفل الدلو. ثم في العراقي جمع عرقوة، وهي الخشبة التي في فم الدلو. والكرب - كسبب -: حبل يشد على طرف العرقوة والعنجاج ليربطهما. وهذا استعارة تمثيلية شبه حالهم في توثيقهم العهد بوجوه متعددة بحال من يوثق الدلو بحبال متعددة. أو شبه حال عهدهم في وثاقته الزائدة بحال الدلو الموثقة «وأنف الناقة» لقب جعفر بن قريع، ذبح والده ناقة لئسائه فأرسلته أمه لياخذ نصيبها فلم يجد إلا الرأس، فقال والده: عليك به، فجعل يجره من الأنف فلقب بذلك. فكانت قبيلته تأنف من ذلك اللقب، فاستعار الشاعر الأنف: للخيار العالين المقدر على طريق التصريح. أو شبه القوم به تشبيهاً بليغاً، وشبه غيرهم بالذناب في الخسة والضعفة. والاستفهام إنكاري، أي لا أحد يسوي بين الأنف والذناب في الدفعة، فصار هذا اللقب مدحاً من حيثئذ. وفيه تورية في غاية الحسن.

ينظر ديوانه: ص ١٦، ولسان العرب: (كرب)، (عنج)، وتاج العروس: (كرب)، (عنج)، ومقاييس اللغة: ١٧٤/٥، وتهذيب اللغة: ١٩٧/١، ٣٧٩، ٢٠٧/١٠، ولسان العرب (عقد)، وجمهرة اللغة ص ٣٢٧.

ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبيعات ونحوها، والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ وما بعده. البهيمة: كل ذات أربع في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي الإضافة التي بمعنى (من) كخاتم فضة، ومعناه: البهيمة من الأنعام، ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّ عَلَيْكُمْ﴾: إلا محرّم ما يتلى عليكم من القرآن، من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُنثَىٰ﴾ وإلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، والأنعام: الأزواج الثمانية، وقيل: (بهيمة الأنعام) الطباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملازمة الشبه، ﴿غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في (لكم) أي: أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد، وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال عن «محلّي الصيد»، كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون، لثلا نخرج عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من الأحكام، ويعلم أنه حكمة ومصلحة، والحرم: جمع حرام وهو المحرم.

﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا آيَاتِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفُونَ فَضْلًا مِنْ رِزْقِهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَمَآوُؤُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَلَا تَعَاوُؤُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾:

الشعائر: جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر، أي: جعل شعاراً وعلماً للنسك، من مواقف الحج ومرامي الجمار، والمطاف، والمسعى، والأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق، والنحر، و«الشهر الحرام»: شهر الحج، و«الهدى»: ما أهدي إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك، وهو جمع هدية، كما يقال جدي في جمع جدية السرج^(١). والقلائد: جمع قلادة، وهي ما قلده به الهدى من نعل أو عروة مزادة، أو لحاء شجر^(٢)، أو غيره، وأمّو المسجد الحرام: قاصدوه، وهم الحجاج والعمار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج، وأن يتعرض

(١) قوله «يقال جدي في جمع جدية السرج» في الصحاح: الجدية - بتسكين الدال: شيء محشو يجعل تحت دفني السرج والرحل. والجمع جدي وجديات. (ع)
(٢) قوله «أو لحاء شجر» أي قشره. (ع)

للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله، وأما القلائد ففيها وجهان: أحدهما: أن يراد بها دوات القلائد من الهدى وهي البدن، وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدى، كقوله: ﴿وَجَزِيرٍ وَمِكَدَلٍ﴾ [البقرة: ٩٨] كأنه قيل: والقلائد منها خصوصاً، والثاني: أن ينهي عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهي عن التعرض للهدى، على معنى: ولا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلوها، كما قال: ﴿وَلَا يَبْدِيكَ رِزْنَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها، ﴿وَلَا آيَاتِنَ﴾: ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام، ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو الثواب، ﴿وَرِضْوَانًا﴾: وأن يرضى عنهم، أي: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيماً لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم. قيل: هي محكمة، وعن النبي ﷺ: «المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها» (٤٩٦) وقال الحسن: ليس فيها منسوخ، وعن أبي ميسرة: فيها ثماني

٤٩٦ - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٥/٢) - باب فضل المائدة والأنعام - قال: حدثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالوا: قال رسول الله - ﷺ - فذكره.

قلت: وهذا الإسناد فيه علتان.

الأولى: الإرسال: فإن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس لم يسمعا من النبي - ﷺ - شيئاً وإنما يرويان عن بعض الصحابة عن النبي . . .

راجع ترجمة ضمرة - تهذيب الكمال (٢٩٣٦/٣١٤/١٣)، و ترجمة عطية بن قيس - تهذيب الكمال (٣٩٦١/١٥٣/١٠).

الثانية: ضعف «أبي بكر بن عبد الله».

وورد هذا الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى عائشة.

أما حديث عبد الله بن عمرو:

فأخرجه الترمذي (٢٦١/٥) - كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب ومن سورة المائدة - (٣٠٦٣) بلفظ «آخر سورة أنزلت المائدة . . .» وقال: هذا حديث حسن غريب، وزوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت «إذا جاء نصر الله . . .» ١. هـ.

والحاكم في المستدرک (٣١١/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وحديث عائشة:

أخرجه النسائي في تفسيره (١٥٨/٤٢٧/١)، وأحمد في المسند (١٨٨/٦) والحاكم في مستدرکه (٣١١/٢) وعنه البيهقي في سننه (١٧٢/٧) . . . كلهم من طريق معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية عن جبیر بن نفيّر قال . . .

وقال الحاكم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وأقره الذهبي.

قلت: وفي ذلك نظر - فإن معاوية وأبا الزاهرية وجبیر لم يخرج لهم البخاري».

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من طريق جبیر بن نفيّر. قال «دخلت على عائشة. فقالت لي: يا جبیر، تقرأ المائدة؟ فقلت نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. وأشار الترمذي إلى أن المراد بقولها «والفتح» إذا جاء نصر الله. قال: وقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - انتهى.

عشرة فريضة وليس فيها منسوخ (٤٩٧)، وقيل: هي منسوخة، وعن ابن عباس: كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً، فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله: ﴿لَا تُحِلُّوهُ﴾ ثم نزل بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ بَجَسٍ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧] (٤٩٨)، وقال مجاهد والشعبي: ﴿لَا تُحِلُّوهُ﴾: نسخ بقوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة، وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم، وأن الحج يقربهم إلى الله، فوصفهم الله بظنهم، وقرأ عبد الله: «ولا أمي البيت الحرام»، على الإضافة، وقرأ حميد بن قيس والأعرج: «تبتغون» بالتاء على خطاب المؤمنين، ﴿فَأَصْحَابُؤَلَىٰ﴾ إياحة للاصطياد بعد حظره عليهم، كأنه قيل: وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا، وقرئ بكسر الفاء، وقيل: هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء، وقرئ: «وإذا أحللتهم»، يقال: حل المحرم وأحل. (جرم) يجري مجرى (كسب) في تعديه إلى مفعول واحد واثنين. تقول: جرم ذنباً، نحو كسبه، وجرمته ذنباً، نحو كسبته إياه، ويقال: أجرمته ذنباً، على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين، كقولهم: أكسبته ذنباً، وعليه قراءة عبد الله: «ولا يُجرمنكم» بضم الياء، وأول المفعولين على القراءة ضمير المخاطبين، والثاني: ﴿أَنْ تَمْتَدُوا﴾، و﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة، متعلق بالشنان بمعنى العلة، والشنان: شدة البغض، وقرئ بسكون النون، والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء، ولا يحملنكم عليه، وقرئ: «إن صدوكم»، على (إن) الشرطية، وفي قراءة عبد الله: «إن يصدوكم»، ومعنى صدّهم إياهم عن المسجد الحرام: منع أهل

٤٩٧ - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٦/٢) - باب فضل المائدة والأنعام (٤٤٧) ... من طريق عبد الرحمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال ... فذكره.
وذكر هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٢) - بلفظ أتم من هذا - وعزاه للفرابي وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ.
قلت: وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في تفسيره (٧١١/١٤٣٥/٤) - من طريق حُدَيْج بن معاوية عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال «آخر سورة أنزلت في القرآن، سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة».

ولعل الرواية السابقة أرجح من رواية حُدَيْج، لأن حال إسرائيل في جده أبي إسحاق أحسن من حال حُدَيْج. كما قرر ذلك أئمة الجرح والتعديل.

قال أبو حاتم الرازي: إسرائيل ثقة متفق، من أنقن أصحاب أبي إسحاق.
وقال الترمذي: إسرائيل ثبت في أبي إسحاق.

راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٣/٣٥٥/٧).

٤٩٨ - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٩٤٤/٣٩٣/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤٤٩/٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.

مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة، ومعنى الاعتداء: الانتقام منهم بالحق مكروه بهم، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: على العفو والإغضاء ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ على الانتقام والتشفي، ويجوز أن يراد العموم لكل برّ وتقوى وكل إثم وعدوان، فيتناول بعمومه العفو والانتصار.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَمِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ أَلْيَوْمِ بَيَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطَرََّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾:

كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في المباعر^(١)، يشوونا ويقولون: لم يحرم من فزد له، ﴿وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنت بسبب، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: التي أثنخوا ضرباً بعضاً أو حجر حتى ماتت، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي تردت من جبل أو في بئر فماتت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: بعضه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه، وقرأ عبد الله «والمَنْطُوحة»، وفي رواية عن أبي عمرو «السبع» بسكون الباء، وقرأ ابن عباس: «وأكيل السبع»، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها، ويعظمونها بذلك ويتقربون به إليها، تسمى الأنصاب، والنصب واحد. قال الأعشى: [من الطويل]:

وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَعْبُدْنَهُ لِعَاقِبَةِ وَاللَّهِ رَبِّكَ فَاعْبُدَا^(٢)

(١) قوله «وهو الدم في المباعر» المباعر: الأمعاء يجعل فيها الدم بعد فصدّه ويشوى للضيف، وقولهم «لم يحرم... إلخ» جار مجرى الأمثال. و«فزد» مبنى للمجهول، أصله «فصد» فسكنت صاده تخفيفاً ثم قلبت زايماً. انتهى. (ع)

(٢) وذا النصب المنسوب لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا
وصل علي حين العشيات والضحي ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا

للأعشى. و«النصب» كضرب وكشرب. وفي لغة: كسبب. وفي لغة كعتق. ويحتملها ما هنا: العلم المنسوب. والمراد به هنا الضم وأحد الحجارة التي كانت منصوبة حول البيت يذبحون لأجلها الهدى يتقربون به إليها. و«ذا» اسم إشارة نصب يمحذوف يفسره المذكور على طريقة =

وقيل: هو جمع، والواحد نصاب، وقرىء: «النصب» بسكون الصاد، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام أي: بالقداح. كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معاصم الأمور ضرب بالقداح، وهي مكتوب على بعضها: نهاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها غفل؛ فإن خرج الأمر مضى لطيته^(١)، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أجلها عوداً. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام، وقيل: هو الميسر، وقسمتهم الجزور على الأنصبة المعلومة، ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ الإشارة إلى الاستقسام، أو إلى تناول ما حرم عليهم؛ لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا. فإن قلت: لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقاً؟ قلت: لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوم وقال: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] واعتقاد أن إليه طريقاً وإلى استنباطه^(٢)، وقوله: أمرني ربي، ونهاني ربي: افتراء على الله، وما يدرية أنه أمره أو نهاه، والكهنة والمنجمون بهذه المثابة، وإن كان أراد بالرب الصنم - فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم - فأمره ظاهر، ﴿الْيَوْمَ﴾ لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك، ونحوه (الآن) في قوله [من الكامل]:

= الاشتغال. وجعله الجوهرى على تقدير: إياك وهذا النصب، فهو منصوب على التحذير ويروى لا تسكنه بدل تعبدته. ويروى «المثرين» بدل «الشیطان» أي الأغنياء. ويروى بدل الشطر الثاني «والله ربك فاعبدا» و«عاقبة» أي لطلب عاقبة. وتقديم المعمول لإفادة الحصر ولزيادة الفاء. ويجوز أنه على تقدير: والزم الله ربك فهو نصب على الإغراء، والفاء عاطفة على المقدر. و«اعبدا» مؤكدة بالنون المبدلة ألفاً للوقف. و«على» بمعنى «في» وروى «سبح» بدل «صل» والمعنى واحد، أي صل الصلوات وقت الضحى والعشيات. واحمدا كاعبدا.

ينظر ديوانه ص ١٨٧، والأزمية ص ٢٧٥، وتذكرة النحاة ص ٧٢، والدرر ١٤٩/٥، وسر صناعة الإعراب ٦٧٨/٢، وشرح أبيات سيبويه ٢٤٤/٢، ٢٤٥، وشرح التصريح ٢٠٨/٢، وشرح شواهد المغني ٥٧٧/٢، ٧٩٣، والكتاب ٥١٠/٣، ولسان العرب (نصب)، (سبح)، (نون)، واللمع ص ٢٧٣، والمقاصد النحويّة ٣٤٠/٤، والمقتضب ١٢/٣، وبلا نسبة في الإنصاف ٦٥٧/٢، وأوضح المسالك ١١٣/٤، وجمهرة اللغة ص ٨٥٧، وجواهر الأدب ص ٥٧، ١٠٨، ووصف المباني ص ٣٢، ٣٣٤، وشرح الأشموني ٥٠٥/٢، وشرح قطر الندى ص ١٤٩، وشرح المفصل ٣٩/٩، ومغني اللبيب ص ٣٧٢، والممتع في الصريف ٤٠/١، وجمع الهوامع ٧٨/٢.

(١) قوله «فإن خرج الأمر مضى لطيته» بكسر الطاء، أي لنته التي انتواها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وإلى استنباطه» لعل بعده سقطاً تقديره: سبيلاً خطأ وضلال. (ع)

الآن لَمَّا ابْيَضُ مَسْرَبِي وَعَضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جَدْمٍ^(١)

وقيل: أريد يوم نزولها، وقد نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، ﴿يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: يشسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم، وقيل: يشسوا من دينكم أن يغلبوه؛ لأن الله عز وجل وفي بوعده من إظهاره على الدين كله، ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من انكفار وانقلابهم مغلوبين مهضومين بعدما كانوا غالبين ﴿وَأَحْشَوْنِي﴾ وأخلصوا لي الخشية، ﴿كَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: كفيتكم أمر عدوكم، وجعلت اليد العليا لكم، كما تقول الملوك: اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد، إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيتهم. أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد، ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك، ولم يصف بالبيت عريان. أو أتمت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتمت من نعمة الإسلام، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾: يعني اخترته لكم من بين الأديان، وأذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ؟﴾ قلت: بذكر

(١) الآن لما ابيض مسربي وعضضت من نابي على جذم

وحلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما أتى على علم

للذهلي. وقيل: لأبي العلاء المعري. و«الآن» الزمن الحاضر. و«المسربة» بضم الراء - وقد فتح -: الشعرات التي تنبت وسط الصدر دقيقة مستطيلة إلى أسفل السرة، وهي آخر ما يشيب من الإنسان، فيباضها كناية عن بلوغه غاية الشيب، وأما المسربة بالفتح فهي مخرج الغائط. و«من نابي» حال مقدمة. و«من» تبيضية. و«الجذم» أصل الشيء، كأن أنبابه تفتتت حتى لم يبق إلا أصولها. ويجوز أن المعنى: أنها سقطت وبقي محلها من اللحم، وهو أيضاً كناية عما تقدم توكيد له في المعنى. و«حلبت هذا الدهر» أي جمعت ما فيه من الحوادث وجربتها. و«أشطره» نواحيه وجوانبه؛ فكأنه شبه الزمان بمكان له جوانب على طريق الكناية، وإثبات الأشطر تخييل، وهو نصب على البدلية. والشطر أيضاً: نصف ضرع الناقة: فيه خالفان، وفي النصف الآخر خالفان. فشبه الدهر بناقة على طريق المكنية، وإثبات الأشطر تخييل. وحلبها ترشيح. وهذا أوجه وأقرب من الأول. وأشطره: نصب على البدلية أيضاً. ويمكن أن حلب مضاعف للتعدي لا للمبالغة. فالمعنى: جعلت الدهر يحلب لي أشطره ويجمع لي ما فيها من الفرائب والعجائب. وقيل: المراد بأشطره أنواع الخير والشر. وأتيت: أي فعلت؛ لأن من يفعل الشيء لا يد من توجه جسمه وقلبه إليه. والمعنى: صارت عادتني أنني أفعل ما أفعله على علم عندي، من طول تجربتي لحوادث الدهر. البيت للحارث بن وعله الذهلي. ينظر: اللسان (سرب)، البحر المحيط (٤٤٠/٣).

المحرّمات، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾: اعتراض أكد به معنى التحريم، وكذلك ما بعده؛ لأنّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل، ومعناه: فمن اضطرّ إلى الميتة أو إلى غيرها، ﴿فِي مَخْصَصَةٍ﴾: في مجاعة، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْرٍ﴾: غير منحرف إليه، كقولِهِ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾: لا يؤاخذ به بذلك.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده، ﴿مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾: كأنه قيل: يقولون لك ماذا أحلّ لهم، وإنما لم يقل: ماذا أحلّ لنا، حكاية لما قالوه لأنّ «يسألونك» بلفظ الغيبة، كما تقول: أقسم زيد ليفعلن، ولو قيل: لأفعلن وأحلّ لنا، لكان صواباً، و (ماذا) مبتدأ، و (أحلّ لهم) خبره كقولك: أي شيء أحلّ لهم؟ ومعناه: ماذا أحلّ لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المأكّل سألوا عما أحلّ لهم منها، فقيل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي: ما ليس بخبيث منها، وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيبات^(١) أي: أحلّ لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف. أو تجعل (ما) شرطية، وجوابها (فكلوا) والجوارح: الكواسب من سباع البهائم والطيور، كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين، والمكلب: مؤذّب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها، ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتنقيف، واشتقاقه من الكلب، لأنّ التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتقّ من لفظه لكثرة من جنسه. أو لأنّ السبع يسمى كلباً، ومنه قوله - عليه السلام -: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» (٤٩٩) فأكله الأسد. أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة. يقال: هو كلب بكذا، إذا كان ضارياً به، وانتصاب ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على الحال من «علمتم». فإن قلت: ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بـ «علمتم»؟ قلت: فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح تحريراً في علمه مدزباً فيه، موصوفاً بالتكليب،

٤٩٩ - سوف يأتي بتمامه في سورة النجم، وقال الحافظ في الكشاف: هو طرف من حديث أخرجه الحاكم، وسيأتي بتمامه في سورة النجم. انتهى.

(١) قال محمود رحمه الله تعالى: «وما علمتم عطفاً على الطيبات... الخ» قال أحمد رحمه الله تعالى: ولقد أحسن في التنبيه على هذا السر الخفي غير أن الحال بأصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثابتة له.

﴿تَمِيمُونَ﴾: حال ثانية أو استئناف، وفيه فائدة جليلة^(١)، وهي أن على كل آخذ علماً ألا يأخذه إلا من أقتل أهله علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقايقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكياد الإبل، فكم من آخذ عن غير متقن، قد ضيع أيامه وعضّ عند لقاء النحارير أنامله، ﴿إِنَّمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من علم التكليب، لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل. أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه، وانزجاره بزجره، وانصرافه بدعائه، وإمساك الصيد عليه وألا يأكل منه، وقرىء: «مكلبين» بالتخفيف، وأفعل وفعل يشتركان كثيراً، والإمساك على صاحبه ألا يأكل منه، لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم: «وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه» (٥٠٠) وعن علي - رضي الله عنه -: إذا أكل البازي فلا تأكل (٥٠١)، وفرق العلماء، فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدّب بالضرب، ولم يشترطوه في سباع الطير، ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً ولم يفرق بين إمساك الكلب والبعض، وعن سلمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة - رضي الله عنهم -: إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (٥٠٢). فإن

٥٠٠ - أخرجه البخاري (٥٩٨/٩) كتاب الذبائح والصيد باب التسمية على الصيد حديث (٥٤٧٥) ومسلم (١٥٢٩/٣ - ١٥٣٠) كتاب الصيد والذبائح باب الصيد بالكلاب المعلمة حديث (١٩٢٩/٣-١) وأبو داود (٢٦٨/٣ - ٢٦٩) كتاب الصيد: باب في الصيد حديث (٢٨٤٨) والترمذي (٦٨/٤ - ٦٩) كتاب الصيد: باب ما جاء في الكلب يأكل من الصيد حديث (١٤٧٠) والسنائي (١٧٩/٧ - ١٨٠) كتاب الصيد والذبائح: باب الأمر بالتسمية عند الصيد وابن ماجه (١٠٦٩/٢) كتاب الصيد: باب صيد الكلب حديث (٣٢١٤) وأحمد (٢٥٦/٤) والطيلسي (٣٤٠/١ - منحة) والدارمي (٨٩/٢) كتاب الصيد: باب التسمية عند إرسال الكلب، وابن الجارود في «المنتقى» (٩١٤١) والبيهقي (٩/٢٣٥ - ٢٣٦) والبخاري في «شرح السنة» (٣/٦ - بتحقيقنا) كلهم من طريق الشعبي عن عدي بن حاتم. وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث عدي بن حاتم. انتهى.

٥٠١ - قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٠٢ - حديث سلمان وسعد بن أبي وقاص: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٣٧/٩) - كتاب الصيد والذبائح - باب المعلم يأكل من الصيد الذي قد قتل -، وعبد الرزاق في المصنف (٤/٤٧٤/٤ - ٨٥١٨) - كتاب المناسك - باب الجارح يأكل - وابن أبي شيبة (٤/٢٣٤) - كتاب الصيد - باب - من رخص في أكله... (١٩٥٩٠/١٩٥٨٩)، وأما أثر أبي هريرة فأخرجه ابن أبي شيبة (٤/٢٣٤/٤) (١٩٥٩١) من طريق يزيد بن هارون قال: نا داود عن الشعبي عن أبي هريرة قال - فذكره - وقال الحافظ في الكشاف حديث سلمان أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن سلمان في الكلب يرسل على الصيد إن أكل ثلثيه فكل الثلث الباقي. وحديث أبي هريرة كذلك رواه ابن أبي شيبة من طريق الشعبي عنه قال «إذا أرسلت كلبك فأكله فكل وإن أكل =

(١) عاد كلامه قال: «وفي قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة... الخ» قال أحمد: وفي الآية دليل على أن البهائم لها علم لأن تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافاً لمنكري ذلك.

قلت: إلام رجع الضمير في قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا أَنَّمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؟ قلت: إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح. أي: سموا عليه عند إرساله.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُجْدِي أَعْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥٠٤﴾﴾

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قيل: هو ذبائحهم، وقيل: هو جميع مطاعمهم، ويستوي في ذلك جميع النصراني، وعن علي - رضي الله عنه -: أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر (٥٠٣)، وبه أخذ الشافعي، وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس (٥٠٤)، وهو قول عامة

== ثلثه، وحديث سعد ابن أبي وقاص كذلك أخرجه ابن أبي شيبة من رواية بكر بن الأشج عن حميد بن مالك عن سعد في الصيد يرسل عليه الكلب قال: كلّه وإن لم يبق منه إلا بضعة منه. انتهى.

٥٠٣ - أخرجه الشافعي في المسند (١٧٤/٢/٦١٣)، والبيهقي، في الكبرى (٢٨٤/٩) كتاب الضحايا - باب ذبائح نصارى العرب - من طريق الشافعي أنبا الثقفى عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني عن عليّ - رضي الله عنه - أنه قال...، وعبد الرزاق في المصنف (٤٨٥/٤ - ٤٨٦/٨٥٧٠) من طريق أيوب عن ابن سيرين به.

وابن أبي شيبة في المصنف (٤٧٧/٣/١٦١٩٣) - من طريق سعيد عن أبي معشر عن إبراهيم عن عليّ أنه - فذكره - قلت: وهذا إسناد فيه نظر، فإن فيه انقطاعاً بين إبراهيم النخعي وعليّ. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية إبراهيم النخعي عن عليّ. وهو منقطع. وأخرجه الشافعي وعبد الرزاق موصولاً من رواية عبيدة عن عليّ - رضي الله عنه - انتهى.

٥٠٤ - أخرجه مالك في الموطأ (٤٨٩/٢) - كتاب الذبائح (٢٤) - باب ما يجوز من الذكاة في حال الضرورة - عن ثور بن زيد الديلمى عن عبد الله بن عباس: أنه سئل... وهذا إسناد فيه نظر: فإن ثور لم يلق ابن عباس.

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٤٧٧/٣/١٦١٩٧) - من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس... .

قلت: وهذا الإسناد ليس أحسن حالاً من سابقه، فإن عطاء بن السائب مختلط، ولم يرو عنه قبل الاختلاط إلا شعبة وسفيان الثوري كما قرر ذلك أئمة الجرح والتعديل - راجع تهذيب الكمال (٢٠/٨٦/٣٩٣٤)، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه في الموطأ عن ثور عن ابن عباس بهذا. وهو منقطع. ثور لم يلق ابن عباس. وإنما أخذه عن عكرمة فحذفه مالك. وروى ابن أبي شيبة من طريق عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: «كلوا ذبائح بني تغلب وتزوجوا نساءهم». انتهى.

التابعين، وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه، وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة، وقال أصحابه: هم صنفان: صنف يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة، وصنف لا يقرءون كتاباً ويعبدون النجوم؛ فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب، وأما المجوس فقد سنَّ بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، وقد وري عن ابن المسيب أنه قال: إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس، وقال أبو ثور: وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء، ﴿وَطَعَامَكُمْ جِلِّ لَمْ﴾: فلا عليكم أن تطعموهم^(١)، لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساء لهم إطعامهم، ﴿بِالْمُحَصَّنَاتِ﴾: الحرائر أو العفاف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنظفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق، وكذلك نكاح غير العفاف منهن، وأما الإماء الكتابيات، فعند أبي حنيفة: هن كالمسلمات، وخالفه الشافعي، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويحتج بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١] ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من قولها: إن ربها عيسى (٥٠٥)، وعن عطاء: قد أكثر الله المسلمات، وإنما رخص لهم يومئذ، ﴿مُحْصِنِينَ﴾: أعفاء، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: صدائق، والخذن يقع على الذكر والأنثى، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرّم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ
أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

٥٠٥ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٤٧٥، ١٦١٦٥، ١٦١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/٤٥٩) - وعزاه لابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.
وانظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٦٨) وأحكام القرآن للجصاص (١/٣٣٢).

(١) قال محمود: «معناه فلا عليكم أن تطعموهم... إلخ» قال أحمد: وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة، لأن التحليل حكم، وقد علقه بهم في قوله ﴿وَطَعَامَكُمْ جِلِّ لَمْ﴾ كما علق الحكم بالمؤمنين. وهذه الآية أبين في الاستدلال بها من قوله ﴿لَا هُنَّ جِلِّ لَمْ وَلَا هُنَّ يُحِلُّونَ لَمْ﴾ فإن لقاتل أن يقول في تلك الآية: نفي الحكم ليس بحكم، ولا يستطيع ذلك في آية المائدة هذه: لأن الحكم فيها مثبت والله أعلم. ولما استشعر الزمخشري دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة، أسلف تأويلها بصرف الخطاب إلى المؤمنين، أي لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب، كما رأته في كلامه أيضاً.

طَيْبًا فَاَتَمَّسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ :

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ كقولوه: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(١) [النحل: ٩٨] وكقولك: إذا ضربت غلامك فهوّن عليه، في أن المراد إرادة الفعل. فإن قلت: لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل؟ قلت: لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه، فكما عبر عن القدرة عن الفعل بالفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر، أي: لا يقدران على الطيران والإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿تُؤَيِّدُهُ وَعَدَا عَلَيَّا إِنَّا كُنَّا فَتَعِيلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني إنا كنا قادرين على الإعادة، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبب مقام السبب للملازمة بينهما، ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم: كما تدين تدان، عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه، وقيل: معنى (قمتم إلى الصلاة) قصدتموها؛ لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة، فعبر عن القصد له بالقيام إليه. فإن قلت: ظاهر الآية يرجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة^(٢) محدث وغير محدث، فما وجهه؟ قلت: يحتمل أن يكون الأمر للوجوب، فيكون الخطاب للمحدثين خاصة، وأن يكون للندب، وعن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده، أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة (٥٠٦)، وعن

٥٠٦ - أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٣/١) - كتاب الوضوء (٤) - باب الوضوء من غير حدث (٥٤) (٢١٤) من حديث عمرو بن عامر عن أنس قال: ...
والترمذي (٨٦/١، ٨٧) - كتاب الطهارة - باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة (٤٤) (٥٨) من =

(١) قال محمود: «قوله إذا قمتم كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله... إلخ» قال أحمد: هذا الكلام يستقيم وروده من السني. كما يستقيم من المعتزلي لأننا نقول: الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبساً بها ومقارناً لها، والمعتزلي بقوله ويعني مخلوقاً بها وناشئاً عن تأثيرها، فالعبارة مستعملة في المذهبين ولكن باختلاف المعنى، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «فإن قلت: ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم... إلخ» قال أحمد: الزمخشري أنكّر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع. وقد سبق له إنكار ذلك ومن جوز إرادة جميع المحامل أجاز ذلك في الآية، ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى. وناهيك بإمام الفن وقدرته. هذا إذا وقع البناء على أن صيغة «أفعل» مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها في الآية للفرقيين المحدثين والمتطهرين، وتناولها للمتطهرين من حيث الندب، والله أعلم.

النبي ﷺ: «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات» (٥٠٧) وعنه - عليه السلام -:

= حديث حميد عن أنس وزاد فيه «طاهراً أو غير طاهر» وقال الترمذي: حديث حميد عن أنس حديث حسن غريب من هذا الوجه، والمشهور عند أهل الحديث حديث عمرو بن عامر الأنصاري عن أنس.

وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن عامر عن أنس... (٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود (٤٤/١) - كتاب الطهارة - باب الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد - (١٧١) - من طريق شريك عن عمرو بن عامر البجلي قال: سألت أنس بن مالك. فذكره. ومن طريق شريك أخرجه أيضاً ابن ماجه (١٧٠/١) - كتاب الطهارة وسننها (١) - باب الوضوء لكل صلاة... (٧٢) (٥٠٩).

والنسائي (٨٥/١) - كتاب الطهارة - باب الوضوء لكل صلاة (١٠١) ((١٣١))... من طريق شعبة عن عمرو بن عامر عن أنس... وأحمد في المسند (٣/١٩٤، ٢٦٠)، وأخرجه أيضاً من طريق سفيان عن عمرو بن عامر عن أنس (٣/١٣٢).

والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٢/١) باب، تجديد الوضوء، والدارمي (١٨٣/١) - باب الوضوء لكل صلاة، وأبو داود الطيالسي (٥٤/١) منحة المعبود برقم (١٨٦) من طريق شعبة. قلت: وقد ورد أن النبي ﷺ - كان يتوضأ لكل صلاة في حديث. عبد الله بن حنظلة الغسيل:

أخرجه أبو داود (١٢/١، ١٣) - كتاب الطهارة - باب السواك (٤٨)، وأحمد في المسند (٥/٢٢٥) والحاكم في المستدرک (١/١٥٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأما وضوء الخلفاء بعده.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/٣٥٢/٣٠٣، ٣٠٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٤٥٣/١١٣٢٧). قال: حدّثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال حدّثنا أزهري عن ابن عون، عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه البخاري من رواية عمرو بن عامر عن أنس بلفظ «عند كل» وزاد «قلت: كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزي أحدنا الوضوء ما لم يحدث» والترمذي من رواية حميد عن أنس نحوه، وزاد «طاهراً أو غير طاهر» ولمسلم من حديث يزيد «أن النبي ﷺ - كان يتوضأ لكل صلاة» فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد. فقال له عمر: فعلت شيئاً لم تكن تفعله. قال: قد فعلته يا عمر، وسيأتي بعد قليل. ولأبي داود والحاكم وأحمد من حديث أسماء بنت زيد بن الخطاب عن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل «أن رسول الله ﷺ - كان أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر. فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك» وقوله: «وكان الخلفاء بعد النبي ﷺ - يتوضؤون لكل صلاة».

أخرجه ابن أبي شيبة والطبري من رواية أبي عوانة عن محمد بن سيرين قال: «كان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ - رضي الله عنهم - يتوضؤون لكل صلاة». انتهى.

٥٠٧ - أخرجه أبو داود (١٦/١) - كتاب الطهارة - باب الرجل يجدد الوضوء من غير حدّث (٦٢) والترمذي (٨٧/١) - كتاب الطهارة - باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة - (٥٩) وقال: إسناده ضعيف.

= وابن ماجه (١٧١/١) - كتاب الطهارة وسننها - باب الوضوء على الطهارة (٧٣) (٥١٢) وذكر فيه =

أنه كان يتوضأ لكل صلاة (٥٠٨)، فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، فقال له عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عمداً فعلته يا عمر» يعني بياناً للجواز؟ فإن قلت: هل يجوز أن يكون الأمر شاملاً للمحدثين وغيرهم، لهؤلاء على وجه الإيجاب، ولهؤلاء على وجه الندب. قلت: لا، لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية، وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجباً أول ما فرض. ثم نسخ. (إلى) تفيد معنى الغاية مطلقاً. فأما دخولها في الحكم وخروجها، فأمر يدور مع الدليل، فمما فيه دليل على الخروج قوله: ﴿فَنَظَرُ إِلَى مَسْرَرٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] لأن الإعسار علة الإنذار، وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرأ في كلتا الحالتين معسراً وموسراً، وكذلك: ﴿ثُمَّ أَيْتُوا الصِّيَامَ إِلَى النَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لو دخل الليل لوجب الوصال، ومما فيه دليل على أن الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَكَتِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الاسراء: ١] لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: ﴿إِلَى الْمَرَاثِقِ﴾ و﴿إِلَى الْكَمْبَيْنِ﴾: لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل، وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلها، وعن النبي ﷺ: أنه كان يدير الماء على مرفقيه (٥٠٩)، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: المراد إصاقي المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح، كلاهما ملصق للمسح برأسه. فقد أخذ

== قصة. كلهم من طريق عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن أبي غطفان الهذلي قال...

وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٣٥٢/٨٥٠)... وقال: اسم الإفريقي عبد الرحمن بن زياد.

قال أحمد: نحن لا نروي عنه شيئاً. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات وبدلس، والحديث أخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى (١/١٦٢)، وابن جرير في تفسيره (٤/٤٥٥/١١٣٤٠).

وقال الحافظ بن حجر في الكشف: أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال الترمذي: إسناده ضعيف. انتهى.

٥٠٨ - ينظر: حديث (٥٠٦)، وقال الحافظ في الكشف: تقدم التنبيه عليه وأن مسلماً أخرجه دون ذكر المسح، وكذلك أخرجه أصحاب السنن. انتهى.

٥٠٩ - أخرجه الدارقطني في سننه (١/٨٣/١٥)، من طريق عباد بن يعقوب نا القاسم بن محمد بن عبد الله بن عقيل عن جده، عن جابر بن عبد الله قال - فذكره، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٦١١).

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشف:

أخرجه الدارقطني من حديث جابر «أن النبي ﷺ - كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه، وإسناده ضعيف». انتهى.

مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ وهو ما روي: أنه مسح على ناصيته (٥٠٩ مكرر)، وقدر الناصية بربع الرأس. قرأ جماعة «وأرجلكم» بالنصب^(١)، فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجهر ودخولها في

٥٠٩ - أخرجه أبو داود الطيالسي (٩٥)، الحديث (٦٩٩)، وأحمد (٤/٢٤٤)، ومسلم (١/٢٣٠): كتاب الطهارة: باب المسح على الناصية والعمامة، الحديث (٨١/٢٧٤)، وأبو داود (١/١٠٤ - ١٠٥): كتاب الطهارة: باب المسح على الخفين، الحديث (١٥٠)، والترمذي (١/١٧٠ - ١٧١): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على العمامة مع الناصية، والثسائي (١/٧٦): كتاب الطهارة: باب المسح على العمامة مع الناصية، الحديث (١٠٠)، وابن ماجه (١/١٨١): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على الخفين، الحديث (٥٤٥)، وأبو عوانة (١/٢٥٩ - ٢٦٠): كتاب الطهارة: باب إباحت المسح على العمامة، وابن الجارود في المنتقى (ص: ٣٧): باب المسح على الخفين، الحديث (٨٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٣٠): باب فرض مسح الرأس في الوضوء، والدارقطني (١/١٩٢): كتاب الطهارة: باب في جواز المسح على بعض الرأس، والبيهقي (١/٥٨): كتاب الطهارة: باب مسح بعض الرأس.

والحديث أصله عند البخاري (١/٣٠٦ - ٣٠٧): كتاب الوضوء: باب المسح على الخفين، الحديث (٢٠٣)، لكن في ذكر المسح على الخفين فقط ليس فيه المسح على الناصية والعمامة. وللحديث شواهد من حديث عمرو بن أمية الضمري، وبلال، وسلمان، وثوبان، وأبي طلحة، وأنس بن مالك، وأبي ذر، وأبي أمامة، وصفوان بن عسال، وأبي موسى الأشعري، وخزيمة بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي أيوب، وجابر بن عبد الله.

أما حديث عمرو بن أمية: رواه ابن أبي شيبة (١/٢٣): كتاب الطهارات: باب من كان يرى المسح على العمامة، والدارمي (١/١٨٠): كتاب الطهارة: باب المسح على العمامة، وأحمد (٤/١٧٩): والبخاري (١/٣٠٨): كتاب الوضوء: باب المسح على الخفين، الحديث (٢٠٥)، وابن ماجه (١/١٨٦): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على العمامة.

وقال ابن حجر في الكشاف: أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة في قصة فيها «ومسح بناصرته وعلى العمامة وعلى خفيه» وللطبراني من حديثه «أن النبي ﷺ - توضأ ومسح على ناصيته». انتهى.

(١) قال محمود: «قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب... إلخ» قال أحمد: ولم يوجه الجهر بما يشفي العليل. والوجه فيه أن الغسل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد منهما إمساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم، كقوله [من مجزوء الكامل]:

... .. متقلداً سيفاً ورمحاً

[ومن الرجز]:

... .. علقها تيباً وماء بارداً

ونظائره كثيرة. وبهذا وجه الحذاق، ثم يقال: ما فائدة هذا التشريك بعلّة التقارب؟ وهلا أسند إلى كل واحد منها الفعل الخاص به على الحقيقة؟ فائدته الإيجاز والاختصار. وتوكيد الفائدة بما ذكره الرمخشري وتحقيقه أن الأصل أن يقال مثلاً: واغسلوا أرجلكم غسلاً خفيفاً لا إسراف فيه، كما هو =

حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها، وقيل: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: فجاء بالغاية إمطة لظن ظان يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وعن علي - رضي الله عنه -: أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزاً، فقال: ويل للأعقاب من النار، فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلًا ويدلكونها ذلكاً، وعن ابن عمر [و]: كنا مع رسول الله ﷺ فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال: «ويل للأعقاب من النار» (٥١٠) وفي رواية جابر: «ويل للعراقيب»

٥١٠ - وذكر هذا الحديث عن جماعة من الصحابة وهم:

أبو هريرة وعبد الله بن عمرو وعائشة وجابر وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ومعيقب وأبو ذر وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبو أمامة وأخوه.

١ - حديث أبي هريرة:

أخرجه البخاري (١٤٣/١) كتاب الوضوء: باب غسل الأعقاب حديث (١٦٥) ومسلم (٢١٤/١) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٤٢/٢٨) وعبد الرزاق (٢١/١) رقم (٦٢) والنسائي (٧٧/١) كتاب الطهارة: باب إيجاب غسل الرجلين والدارمي (١٧٩/١) كتاب الطهارة: باب ويل للأعقاب من النار وأحمد (٢٢٨/٢)، ٢٨٤، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤٦٧، ٤٨٢) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٧٨، ٧٩) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ٣٧٥-٣٧٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٨/١) كتاب الطهارة، وابن المنذر في «الأوسط» (٤٠٦/١) وأبو عوانة (٢٥١/١) - (٢٥٢) والبيهقي (٦٩/١) كتاب الطهارة: باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل كلهم من طريق محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: «أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال: ويل للأعقاب من النار».

وأخرجه مسلم (٢١٤/١) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٤٢/٣٠) والترمذي (٥٨/١) كتاب الطهارة: باب ما جاء في ويل للأعقاب من النار حديث (٤١) وابن ماجه (١٥٤/١) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٣) وابن خزيمة (٨٤/١) رقم (١٦٢) كلهم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به.

وللحديث عن أبي هريرة ألفاظ منها، «ويل للعقب من النار وويل للعراقيب من النار».

وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

٢ - حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه البخاري (١٧٣/١) كتاب العلم: باب من رفع صوته بالعلم حديث (٦٠)، (٢٢٨/١) كتاب العلم: باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم حديث (٩٦) ومسلم (٢١٤/١) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٤١/٢٧) وأبو داود (٧٢/١) كتاب الطهارة: باب في إسباغ الوضوء حديث (٩٧) والنسائي (٧٨/١) كتاب الطهارة باب إيجاب غسل الرجلين، وابن ماجه (١/١) =

المعتاد، فاختصرت هذا المقاصد بإشراكه الأرجل مع الممسوح، ونبه بهذا التشريك - الذي لا يكون إلا في الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جداً. على أن الغسل المطلوب في الأرجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن إدراجه معه تحت صيغة واحدة، وهذا تقرير كامل لهذا المقصود، والله أعلم.

١٥٤) كتاب الطهارة باب غسل العراقيب حديث (٤٥٠) وأحمد (١٩٣/٢، ٢٠٥، ٢١١) وابن خزيمة (٨٣/١ - ٨٤) رقم (١٦١) والبخاري في «شرح السنة» (٣١٣/١ - بتحقيقنا) عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف عتّا النبي ﷺ - في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرمقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادى بأعلى صوته «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً لفظ البخاري.

٣ - حديث عائشة وله طرق:

فأخرجه ابن ماجه (١٥٤/١) كتاب الطهارة: باب غسل العراقب حديث (٤٥٢) وأحمد (١٩١/٦) - (١٩٢) وابن أبي شيبة (٢٦/١) وعبد الرزاق (٢٣/١) رقم (٦٩) والحميدي (٨٧/١) رقم (١٦١) وأبو عوانة (٢٥١/١) والترمذي في «العلل الكبير» (ص - ٣٥) رقم (٢٢) وابن المنذر في «الأوسط» (٤٠٦/١) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص - ٣٧٦) وأبو يعلى (٤٠٠/٧) رقم (٤٤٢٦) وابن حبان (١٠٥٤ - الإحسان) والشافعي (٢٢/١) كتاب الطهارة: باب في صفة الوضوء حديث (٨٢) والطحطاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٨/١) كتاب الطهارة، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١٦٧/١) رقم (٧٠) كلهم من طريق سعيد بن أبي سعيد عن أبي سلمة قال: توضأ عبد الرحمن عند عائشة فقالت: «يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء إني سمعت رسول الله ﷺ - يقول: «ويل للأعقاب من النار».

ومن هذا الوجه صححه ابن حبان.

وقال البيهقي: قال أحمد: رواه عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن سالم مولى المهري عن عائشة، وهو من ذلك الوجه مخزج في كتاب مسلم. وقال الترمذي في «العلل»: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: حديث أبي سلمة عن عائشة حديث حسن. ا.هـ.

فحديث عائشة من هذا الطريق حسنه البخاري وصححه ابن حبان. والطريق الذي أشار إليه أحمد. أخرجه مسلم (٢١٣/١) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٤٠/٢٥) والطحطاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٨/١) كتاب الطهارة، وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص - ٣٨٢)، والبيهقي (٢٣٠/١) من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن سالم مولى المهري عن عائشة بمثل الطريق الأول.

وقد خولف عكرمة بن عمار في هذا الحديث.

خالفه الأوزاعي وحرب بن شداد وأبو معاوية النحوي وعلي بن المبارك وحسين المعلم فرووه عن يحيى بن أبي كثير عن سالم مولى المهري عن عائشة دون ذكر أبي سلمة فانفرد عكرمة بن عمار بزيادة أبي سلمة في الإسناد.

وكما هو معروف فإن رواية عكرمة بن عمار عن يحيى مضطربة.

قال أحمد: عكرمة مضطرب الحديث عن يحيى بن أبي كثير.

وقال ابن المديني: أحاديث عكرمة عن يحيى بن أبي كثير متاكير ليست بذلك كان يحيى بن سعيد يضعفها.

وقال البخاري: مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير.

وقال أبو داود: ثقة وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير فيه اضطراب.

وقال الثنائي: ليس به بأس إلا في حديث يحيى بن أبي كثير. ينظر التهذيب (٧/٢٦٢).
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/٣٠): صدوق يغلط وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب.
ا.هـ.

ومخالفة الأوزاعي:

عند أبي عبيد في «كتاب الطهور» (ص - ٣٧٧) وأبو عوانة (١/٢٣٠ - ٢٣١) وابن أبي حاتم في
«العلل» (١/٥٧) رقم (١٤٨).

ومخالفة حرب بن شداد.

عند الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٣٨).

ومخالفة أبي معاوية النهوي.

عند أبي عبيد في «كتاب الطهور» (ص - ٣٨٢) وابن أبي حاتم في «العلل» (١/٥٧ - ٥٨) رقم
(١٤٨).

ومخالفة علي بن المبارك.

عند أبي عوانة (١/٢٣٠).

ومخالفة حسين المعلم.

عند ابن أبي حاتم في «العلل» (١/٥٧) رقم (١٤٨).

فهؤلاء الخمسة الثقات خالفوا عكرمة ابن عمّار فلم يذكروا أبا سلمة في الإسناد.

وقد رجح أبو زرعة رواية الأوزاعي وحسين المعلم كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/٥٧ - ٥٨)
رقم (١٤٨).

ومما يدلّ على أنّ عكرمة بن عمّار وهم في هذه الرواية أنّ جماعة تابعوا يحيى بن أبي كثير فرووا
الحديث عن سالم عن عائشة ولم يذكروا أبا سلمة.

فأخرجه مسلم (١/٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/٢٤٠) وأبو عوانة
(١/٢٣٠) والبيهقي (١/٦٩) كتاب الطهارة: باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل، من طريق
مخرمة بن بكير عن أبيه عن سالم مولى شداد قال: دخلت على عائشة زوج النبي - ﷺ - يوم توفي
سعد بن أبي وقاص فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر فتوضأ عندها فقالت: «يا عبد الرحمن أسبغ
الوضوء فإنّي سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ويل للأعقاب من النار».

وأخرجه مسلم (١/٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/٢٤٠) من طريق
نعيم بن عبد الله المجمر عن سالم عن عائشة وأخرجه مسلم (١/٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب
غسل الرجلين حديث (٢٥/٢٤٠) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن سالم عن عائشة وأخرجه
الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٣٨) من طريق أبي الأسود يتيّم عروة عن سالم عن عائشة
وللحديث طريق آخر عن عائشة.

أخرجه ابن ماجه (١/١٥٤) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥١) وأبو عوانة (١/
٢٥٢) والدارقطني (١/٩٥) كتاب الطهارة، من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

٤ - حديث جابر بن عبدالله.

أخرجه ابن ماجه (١/١٥٥) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٤) وابن أبي شيبة (١/
٢٦) وأحمد (٣/٣٦٩، ٣٩٣) وأبو داود الطيالسي (١/٥٣ - منحة) رقم (١٧٨) وأبو يعلى (٤/

=

== (٥٢) رقم (٢٠٦٥) وفي «معجم شيوخه» (ص - ٧٠) رقم (١٥) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص - ٣٨٢، ٣٨٣) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٥١٠) وابن المنذر في «الأوسط» (١/٤٠٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٣٨) من طريق الأحوص عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «وَيْلٌ للعراقيب من النار».

قال البوصيري في «الزوائد» (١/١٨٢): هذا إسناد رجاله ثقات. أ. هـ. وللحديث طريق آخر عن جابر.

أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/٧) من طريق الوليد بن القاسم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «وَيْلٌ للعراقيب من النار».

وقال الطبراني: لم يروه عن الأعمش إلا الوليد تفرد به حماد.

٥ - حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي.

أخرجه أحمد (٤/١٩١) والحاكم (١/١٦٢) كتاب الطهارة وابن خزيمة (١/٨٤) رقم (١٦٣) والدارقطني (١/٩٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل القدمين والعقبين رقم (١) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ٣٧٦-٣٧٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٣٨) كتاب الطهارة، والبيهقي (١/٧٠) كتاب الطهارة: باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل وفي «معرفة السنن والآثار» (١/١٦٩) رقم (٧٢) كلهم من طريق حيوة بن شريح عن عتبة بن مسلم التميمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وَيْلٌ للأعقاب ويطون الأقدام من النار» وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجوا ذكر بطون الأقدام ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة.

وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٢٤٥): رواه أحمد والطبراني في الكبير... ورجال أحمد والطبراني ثقات.

٦ - حديث معقيب.

أخرجه أحمد (٥/٤٢٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/٣٥٠) رقم (٨٢٢) من طريق أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن معقيب قال: قال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ للأعقاب من النار».

وعلقه الترمذي في «العلل الكبير» (ص - ٣٥) عن أيوب بن عتبة به وقال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: حديث أبي سلمة عن معقيب: ليس بشيء كان أيوب لا يعرف صحيح حديثه من سقيمة فلا أحدث عنه وضعف أيوب بن عتبة جداً. أ. هـ.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٢٤٥) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أيوب بن عتبة والأكثر على تضعيفه أ. هـ. وأيوب بن عتبة.

ضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والجوزجاني ومسلم والبخاري والعجلي وأبو حاتم وغيرهم كما في التهذيب (١/٤٠٨-٤٠٩).

وقال الذهبي في «المغني» (١/٩٧): ضعفه لكثرة مناكيره.

وقال الحافظ في «التقريب» (١/٩٠): ضعيف.

٧ - حديث أبي ذر الغفاري.

أخرجه عبد الرزاق (١/٢٢) رقم (٦٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر =

(٥١١) وعن عمر أنه رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه، فأمره أن يعيد الوضوء، وذلك

قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ ونحن نتوضأ فقال «وَيْلٌ للأعقاب من النار» فطفقنا نغسلها غسلًا وندلكها دلكًا.

وزاد نسبه السيوطي في «الأزهار المتناثرة» (ص - ٢٦) إلى سعيد بن منصور.

٨ - حديث خالد بن الوليد وشرحيل وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان.

أخرجه ابن ماجه (١/١٥٥) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٥) من طريق أبي صالح الأشعري حدثني أبو عبدالله الأشعري عن خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحيل بن حسنة وعمرو بن العاص كل هؤلاء سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «أَيْمُوا الوضوء وَيْلٌ للأعقاب من النار». والحديث قال البخاري كما في «عِلَل الترمذي الكبير» (ص - ٣٥): وحديث أبي عبدالله الأشعري «وَيْلٌ للأعقاب من النار» حديث حسن أ. هـ. وصححه ابن خزيمة (٦٦٥).

وقال البوصيري في الزوائد (١/١٨٢): هذا إسناد حسن ما علمت في رجاله ضعفاء أ. هـ.

٩ - حديث أبي امامة وأخيه.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/٣٤٧) رقم (٨١٠٩) من طريق علي بن مسهر عن ليث بن سليم عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي امامة وأخيه قالا: أبصر رسول الله ﷺ قوماً يتوضئون فقال «وَيْلٌ للأعقاب من النار».

وأخرجه الطبراني (٨/٣٤٨-٣٤٧) رقم (٨١١٠، ٨١١١، ٨١١٢، ٨١١٤، ٨١١٥) من طرق عن ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي امامة - وحده - به وأخرجه الدراقطني (١/١٠٨) كتاب الطهارة: باب ما روي في فضل الوضوء حديث (٤) والطبراني (٨/٣٤٨-٣٤٩) رقم (٨١١٦) من طريق عبدالواحد بن زياد عن ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي امامة أو عن أخي أبي امامة... فذكره.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/٢٤٥): رواه الطبراني في «الكبير» من طرق ففي بعضها عن أبي امامة وأخيه وفي بعضها عن أبي امامة فقط وفي بعضها عن أخيه فقط... ومدار طرقه كلها عن ليث بن أبي سليم وقد اختلط. أ. هـ.

وحديث «وَيْلٌ للأعقاب من النار» صرح السيوطي بتواتره في «الأزهار المتناثرة» (ص - ٢٦) رقم (١٦) وتبعه الشيخ أبو الفيض الكتاني (ص - ٦٨، ٦٩) وقال: ويمتن صرح بأنه متواتر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «شرح الجامع الصغير»، وشارح كتاب مسلم الثبوت في الأصول. أ. هـ. وقال الحافظ في الكشاف:

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ يَوْسُفَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ «خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنَّا فِي سَفَرَةٍ فَأَدْرَكْنَا - فَذَكَرَهُ - وَفِيهِ: وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحٌ» وَلِمُسْلِمٍ «رَجَعْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْأَبِي نَعِيمِ فِي الْمَسْتَخْرَجِ: وَأَعْقَابُهُمْ بِيضٌ تَلُوحٌ (تَنْبِيهِ) لَمْ أَرَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو، وَكَأَنَّهُ نَحَرَفَ عَلَى صَاحِبِهِ الْكِتَابِ، أَوْ بَعْضٌ مَنِ أَخَذَهُ عَنْهُ. انْتَهَى.

٥١١ - ينظر الحديث السابق، وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة وإسحاق وأبو يعلى من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر وهي عند مسلم من حديث أبي هريرة. وللثمالي من حديث عبدالله بن عمرو المذكور ولأبي يعلى من حديث عائشة. ولسعيد بن منصور من حديث أبي ذر رضي الله عنه. انتهى.

للتغليظ عليه (٥١٢)، وعن عائشة - رضي الله عنها - لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين (٥١٣)، وعن عطاء: والله ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين (٥١٤)، وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح، وعن الحسن: أنه جمع بين الأمرين، وعن الشعبي: نزل القرآن بالمسح والغسل سنة (٥١٥)، وقرأ الحسن: «وأرجلكم»، بالرفع بمعنى وأرجلكم مفسولة أو ممسوحة إلى

٥١٢ - أخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٧/٤٥/١) وعبد الرزاق في المصنف (٣٦/١، ١١٨/٣٧) كلاهما، من رواية أبي قلابة، أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً...

ولكن فيه انقطاع: فإن أبا قلابة وهو عبد الله بن زيد - لم يدرك عمر بن الخطاب - راجع تهذيب الكمال (٣٢٨٣/٥٤٣/١٤) وابن جرير الطبري في تفسيره (١١٤٥٨/٤٦٧/٤) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨٤/١) - كتاب الطهارة - باب تفريق الوضوء - موصولاً من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: رأى عمر بن الخطاب...

قلت: وفي الباب حديث مرفوع. رواه أبو داود في السنن (٤٥/١) - كتاب الطهارة - باب تفريق الوضوء (١٧٥) - قال: ثنا حيوة بن شريح، ثنا بقبية، عن بحير هو ابن سعد - عن خالد، عن بعض أصحاب النبي: أن النبي ﷺ، ونقل الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤٠٣/٣٨٧/١) عن أبي داود أنه قال في الحديث السابق، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية أبي قلابة «أن عمر رأى رجلاً يتوضأ فبقي في رجله قدر ظفر. فقال: أعد الوضوء» وهو منقطع. ورواه البيهقي موصولاً من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر «أن عمر رأى رجلاً» فذكره بلفظ «لمعة» وقد روي مرفوعاً. أخرجه أحمد وأبو داود من رواية خالد بن معدان عن بعض الصحابة «أن النبي ﷺ رأى رجلاً وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة. وقال الأثرم عن أحمد: إسناده جيد. وقال أبو داود: هو مرسل. وتعقبه ابن دقيق العيد بأن عدم ذكر اسم الصحابي حدثه. وهو موصوف بكثرة الإرسال (تنبيه) قوله «تغليظاً عليه» من كلام صاحب الكشاف. وفيه نظر، لاحتمال أن يكون المراد بقوله «أعد الوضوء» أي اغسل رجلك من إطلاق الكل وإرادة البعض، وأما الذي في المرفوع فيحتمل أن يكون الأمر المذكور بعد أن أحدث الرجل. انتهى.

٥١٣ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٤٤/١٦٩/١) - قال حدثنا هشيم قال أنا يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت...

وله إسناده آخر عنده من طريق شعبة عن أبي بكر بن حفص قال: سمعت عروة بن الزبير عن عائشة قالت: وعبد الرزاق في المصنف (٨٦٠/٢٢١/١) - عن ابن جريج قال: أخبرني أبو بكر بن حفص... وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٧٩/٩٤٧/٢) من طريق محمد بن مهاجر البغدادي... وقال: هذا حديث موضوع وضعه محمد بن مهاجر. وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من رواية القاسم عنها دون قوله «بغير خفين» وفي إسناده محمد بن المهاجر البغدادي وأدعى ابن الجوزي أنه وضعه. انتهى.

٥١٤ - قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٥١٥ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٤/٢٦/١، ١٨٥) - بلفظ «نزل جبريل بالمسح على القدمين»، وعبد الرزاق في المصنف (٥٦/١٩/١).

الكعبيين، وقرىء: «فاطهروا» أي: فطهروا أبدانكم، وكذلك «ليطهركم»، وفي قراءة عبد الله: «فأموا صعيداً»، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: في باب الطهارة، حتى لا يرخص لكم في التيمم، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء، ﴿وَلَيْتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه، ﴿لَمَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيبيكم.

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧)

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: وهي نعمة الإسلام، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: أي: عاقدكم به عقداً وثيقاً هو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا، وقيل: هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (٥١٦).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)﴾:

عذى ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بحرف الاستعلاء مضمناً معنى فعل يتعدى به، كأنه قيل: ولا يحملنكم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ بمعنى على أن تعتدوا، فحذف مع «أن» ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام: «من أتبع على ملء فليتبع» (٥١٧) لأنه بمعنى أحيل،

٥١٦ قلت: هذا الكلام يشير إلى معنى حديث عبادة بن الصامت قال «بايعنا رسول الله ﷺ - ... - أخرجه مالك في الموطأ (٤٤٥/٢) - باب الترغيب في الجهاد - والبخاري (١٩٢/١٣) - كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩-٧٢٠٠)، ومسلم (٣/١٤٧٠) - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء (١٧٠٩/٤١).

٥١٧ - أخرجه مالك (٦٧٤/٢) كتاب البيوع: باب جامع الذين والحول حديث (٨٤) والبخاري (٤٦٤/٤) كتاب الحوالة) باب هل يرجع في الحوالة حديث (٢٢٨٧) ومسلم (٣/١١٩٧) كتاب المساقاة: باب تحريم مظل الغني الحديث (٣٣/١٥٦٤) وأبو داود (٣/٦٤٠) كتاب البيوع: باب في المظل حديث (٣٣٤٥) والشافعي (٣١٧/٧) كتاب البيوع: باب الحوالة والتمذي (٣/٦٠٠) كتاب البيوع: باب مظل الغني ظلم حديث (١٣٠٨) وابن ماجه (٢/٨٠٣) كتاب الصدقات: باب الحوالة حديث (٢٤٠٣) والشافعي في «الأم» (٣/٢٣٣) كتاب الحوالة وأحمد (٢/٢٤٥) والدارمي (٢/٢٦١) =

وقرىء: «سُنَّان» بالسكون، ونظيره في المصادر (ليان) والمعنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تركوا العدل فتعدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتشفوا بما^(١) في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثله أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد

= كتاب البيوع: باب في مطل الغني ظلم، والحميدي (٤٤٧/٢) رقم (١٠٣٢) وأبو يعلى (١١)
١٧٢-١٧٣) رقم (٦٢٨٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨/٤) والبيهقي (٧٠/٦) كتاب الحوالة:
باب من أحيل على مليء فليتبع، كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم وإذا أحيل أحدكم على مليء فليتبع».

وأخرجه البخاري (٧٥/٥) كتاب الاستقراض: باب مطل الغني ظلم حديث (٢٤٠٠) ومسلم (٣/
١١٩٧) كتاب المساقاة: باب تحريم مطل الغني وأحمد (٣١٥/٢) وعبد الرزاق (٣١٦/٨) رقم
(١٥٣٥٥) والبيهقي (٧٠/٦) كتاب الحوالة: باب من أحيل على مليء فليتبع، كلهم من طريق
معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم» لفظ البخاري
هكذا مختصراً.

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٣١/١) من طريق أبي قرة موسى بن طارق عن ابن جريج عن
صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».
وقال الطبراني: لم يروه عن صالح إلا ابن جريج تفرد به أبو قرة. قال السهمي في «سؤالاته
للدارقطني» (٤٠٢): سألت أبا الحسن الدارقطني، قلت: أبو قرة موسى بن طارق لا يقول أخبرنا
أبدأ يقول: ذكر فلان. إيش العلة فيه فقال: هو سماع له كله وقد كان أصاب كتبه آفة فتوزع فيه
فكان يقول: ذكر فلان أ. هـ.

وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩٤/٦) من طريق علي بن مسهر عن عاصم الأحول عن
محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».
وفي الباب عن ابن عمر

أخرجه الترمذي (٦٠١-٦٠٠/٢) كتاب البيوع: باب ما جاء في مطل الغني أنه ظلم حديث (١٣٠٩)
وابن ماجه (٨٠٣/٢) كتاب الصدقات: باب الحوالة حديث (٢٤٠٤) وأحمد (٧١/٢) من طريق
هشيم ثنابونس بن عبيد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم وإذا
أحلت على مليء فاتبعه ولا تبع بيعتين في واحدة».

والحديث ذكره الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢٤٢/٢) مع أنه ليس على شرطه فقد أخرجه
الترمذي أيضاً ولم يفرد به ابن ماجه.

فقال: هذا إسناد رجاله ثقات غير أنه منقطع، قال أحمد بن حنبل: لم يسمع يونس بن عبيد من
نافع شيئاً إنما سمع من ابن نافع عن أبيه، وقال ابن معين وأبو حاتم: لم يسمع من نافع شيئاً.
وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:

متفق عليه من حديث الأعرج عن أبي هريرة بلفظ «وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع» وفي رواية
لأحمد «وإذا أحيل أحدكم على مليء فليحتل» وبهذا اللفظ أخرجه البزار من حديث ابن عمر رضي
الله عنه. انتهى.

(١) قوله: «وتشفوا بما في قلوبكم» لعلمه مما. (ع)

أو ما أشبه ذلك، ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: أي العدل أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها. أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها، وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه؟، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله، كأنه قال: قدم لهم وعداً فقيل: أي شيء وعده لهم؟ فقيل: لهم مغفرة وأجر عظيم. أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة. أو على إجراء «وعد» مجرى قال: لأنه ضرب من القول. أو يجعل «وعد» واقعاً على الجملة التي هي لهم مغفرة، كما وقع ﴿تَرَكْنَا﴾ على قوله: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ﴾ [الصفافات: ٧٩] كأنه قيل: وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول، فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم، وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة، فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ءَن يَسْتُظُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ءَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

روي: أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معاً، وذلك بـ «عسفان» في غزوة ذي أنمار. فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبروا عليهم، فقالوا: إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم، يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها. فنزل جبريل بصلاة الخوف (٥١٨)، وروي: أن رسول الله ﷺ أتى

٥١٨ - أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٢٥٧/١٠٣٧٨)

والحديث أصله في صحيح مسلم (٣/٣٨٧، ٣٨٨) - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب صلاة الخوف (٥٧) (٣٠٨) من طريق أبي الزبير عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ والنسائي (٣/١٧٤) - كتاب صلاة الخوف - حديث رقم (١٥٤٤) من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة نحوه. وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه الطبري من رواية التضر بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس بتغير فيه، ولفظه قال «خرج رسول الله ﷺ في غزاة. فلقي المشركين بـ «عسقلان»، فلما صلى الظهر فرأوه يركع ويسجد قال بعضهم لبعض: كان فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علوا بكم قال قائل منهم: فإن لهم صلاة أخرى، والباقي نحوه. وأصله في مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر «غزونا مع النبي ﷺ قوماً من جهينة: قاتلونا قتلاً شديداً فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم لاقتطعناهم فقالوا: إنهم سيأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولى فأخبر جبريل النبي ﷺ، وذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ. =

بني قريظة ومعه الشيخان وعليّ - رضي الله عنهم - يستقرضهم دية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين . فقالوا: نعم يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحا عظيمة بطرحها عليه، فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره، فخرج (٥١٩)، وقيل: نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاء يستظلون بها، فعلق رسول الله ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، قالها ثلاثاً، فشام الأعرابي السيف^(١) فصاح رسول الله ﷺ بأصحابه فأخبرهم، وأبى أن يعاقبه (٥٢٠). يقال: بسط إليه لسانه إذا شتمه، وبسط إليه يده إذا بطش به ﴿وَبَسَطُوا لِأَيْدِيهِمْ

=====

= فلما حضرت العصر صفنا صفين - الحديث» وللترمذي والنسائي من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة نحوه. انتهى.

٥١٩ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣٣٨، ٣٤٠) - باب غزوة بئر معونة وذكره ابن هشام في غزوة بني النضير (٣/١٧٠/١٣٠٨).

وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٣٦٩) - باب المغازي - من طريق سليمان بن أحمد ثنا ابن سهل عن عبد الغني بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس... وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل. قال: حدثني والذي إسحاق بن يسار بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قدم أبو براد عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب على رسول الله ﷺ - فذكره مطولاً - وفيه قال «ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في القتيلين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري فيما حدثني يزيد بن رومان قال: كان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم قالوا: نعم، اجلس يا أبا القاسم فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا. من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيرحنا منه؟ فانتدب لذلك منهم عمرو بن جحاش بن كعب، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال - ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي، فأناه جبريل من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، ثم أمر بحريهم والمسير إليهم. فسار الناس، (تنبيه) في كلام صاحب الكشاف «أنهما كانا مسلمين» ولم أجد ذلك في شيء. من طرقه بل صرح موسى بن عقبة في المغازي أنهما كانا كافرين، وكان لهما عهد وفي الدلائل لأبي نعيم من حديث ابن عباس: فلقى عمرو بن أمية رجلين من بني كلاب معهما أمان ولم يعلم به فقتلها». انتهى.

٥٢٠ - أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٩٤) - كتاب الجهاد والسير (٥٦) - باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (٨٤) (٢٩١٠).

(١) قوله «فشام الأعرابي السيف» في الصحاح. شمت السيف أغمدته. وشمته: سلته وهو من الأضداد. (ع)

وَأَلَيْتَهُمْ يَأْتُوهُ ﴿[المنحنة: ٢]﴾ ومعنى (بسط اليد) مدها إلى المبطوش به. ألا ترى إلى قولهم: فلان بسيط الباع، ومديد الباع، بمعنى، ﴿تَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: فمنعها أن تمتد إليكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ فِيمَا نَقُضِهِمْ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحُرفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً قراراً، فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها، وإني ناصركم، وأمر موسى - عليه السلام - بأن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى - عليه السلام - أن يحدثوهم، فنكثوا الميثاق، إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا، ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف، وكانا من النقباء، والنقيب: الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها، كما قيل له: عريف، لأنه يتعرفها، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: ناصركم ومعينكم، ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم من أيدي العدو، ومنه التعزيز، وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد، وقرئ بالتخفيف يقال: عزرت الرجل إذا حطته وكففته، والتعزير والتأزير من واد واحد، ومنه: لأنصرتك نصراً مؤزراً، أي: قوياً، وقيل معناه: ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، واللام في: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمْ﴾ موطئة للقسم

= وسلم في الصحيح (٤٩١٨ - نووي) - كتاب الفضائل (٤٣) - باب توكله على الله تعالى، (٤) (١٣)/٨٤٣. وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من رواية أبي سلمة عن جابر نحوه، وللبخاري من وجه آخر. انتهى.

وفي: ﴿لَا كَفْرَانَ﴾ جواب له، وهذا الجواب ساد مسدّ جواب القسم والشرط جميعاً، ﴿بِمَدِّ ذَلِكَ﴾: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم. فإن قلت: من كفر قبل ذلك أيضاً فقد ضلّ سواء السبيل. قلت: أجل، ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم، لأنّ الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى، ﴿لَعَنَهُمْ﴾: طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا، وقيل: مسخناهم، وقيل: ضربنا عليهم الجزية، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: خذلناهم ومنعناهم الألفاف حتى قست قلوبهم. أو أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست، وقرأ عبد الله: «قاسية»، أي: ردية مغشوشة، من قولهم: درهم قسي وهو من القسوة؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه ييس وصلابة، والقاسي والقاسح - بالحاء - أخوان في الدلالة على اليسر والصلابة وقرئ: «قسية»، بكسر القاف للإتباع، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ بيان لقسوة قلوبهم؛ لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه، ﴿وَتَسُوا حَظًّا﴾: وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً، ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من التوراة، يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه -: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية (٥٢١)، وتلا هذه الآية، وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ أي: هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهدك ويظاهرون المشركين على حريك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك، ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾: على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة، أو على نفس، أو فرقة خائنة، ويقال: رجل خائنة، كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة، قال [من الكامل]:
حَدَّثتْ نَفْسِكَ بِالْوَقَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْعَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإِضْبَاعِ^(١)

٥٢١ - أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٤٨/أثر رقم ٨٣) قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي عن القاسم عن عبد الله. قال: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة يعملها». والدارمي في سننه (١/١٠٥) - باب التوبخ لمن يطلب العلم لغير الله. والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد للهيتمي (١/٢٠٤) - باب نسيان العلم - وقال: رجاله موثقون إلا أنّ القاسم لم يسمع من جده. وأبو نعيم في الحلية من طريق بكار بن بكر... (١/١٣١). وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن المبارك في الزهد. قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي عن القاسم عن عبد الله قال «إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة يعملها» وهذا منقطع وكذا أخرجه الدارمي والطبراني. انتهى.

(١) أقربين إنك لو رأيت فوارسي بعمائتين إلى جوانب صلفع =

وقرىء: «على خيانة»، ﴿وَمَنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: بعث على مخالفتهم، وقيل هو منسوخ بآية السيف، وقيل: فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسُوا حَتَّىٰ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٤)

﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾: أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى، أي: مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسول وبأفعال الخير، وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك. فإن قلت: فهلا قيل: من النصارى؟^(١) قلت: لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاءً لنصرة الله، وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية. أنصاراً للشيطان^(٢)، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره، ومنه الغراء الذي يلصق به، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: بين فرق النصارى المختلفين، وقيل: بينهم وبين اليهود، ونحوه ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩]، ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيْقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٩].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغددر خائنة مغل الأصبغ

للكلابي، يخاطب ضيفاً نزل عنده فطمع في جاريته. والهمزة للنداء و«عمائتين» اسم جبلين. و«صلفع» اسم موضع. أي يا قرين لو رأيت فوارسي يهذين الجبلين ممتدين إلى جوانب صلفع، لحدثت نفسك بوفاء العهد خوفاً مني كما هو الواجب عليك، ولم تكن لأجل العدو. أو ولم تكن مجعولاً للغددر خائنة، على أنه خبر بعد خير، أي كثير الخيانة، فالتاء للمبالغة كـ«راوية». ولعله كان قد أشار للجارية بأصبغه، فسمى الإشارة به للخيانة إضلالاً له: ويروى مغل الأصبغ بالغين وغل وأغل إذا سرق شيئاً تافهاً، كأنه جعل أصبعه غلاً، أي سارقاً، للإشارة به.

ينظر: اللسان (صبع)، والطبري (١/١٣٢)، وإصلاح المنطق (٢٩٥)، الدر المصون (٢/٥٠١).

(١) قال محمود: «فإن قلت: فهلا قيل من النصارى... إلخ» قال أحمد: وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع بإسناد النصرانية إلى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ﴾ فالوجه في ذلك والله أعلم أنه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم في نصرته الله تعالى، ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرته، وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بدعوى النصرته وقولها دون فعلها، والله أعلم.

(٢) قوله «وملكانية أنصاراً للشيطان» في الخازن فرقة رابعة وهي المرقوسية اهـ. (ع)

وَمِنَ الْكُتُبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴿

﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ﴾: خطاب لليهود والنصارى، ﴿مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾: من نحو
صفة رسول الله ﷺ، ومن نحو الرجم، ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾: مما تخفونه لا بينه إذا
لم تضطر إليه مصلحة دينية، ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته^(١) مما لا بد من
بيانه، وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة، وعن الحسن: ويعفو عن كثير
منكم لا يؤاخذ، ﴿قَدْ جَاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: يريد القرآن، لكشفه
ضلمات الشرك والشك، وإبانته ما كان خافياً عن الناس من الحق. أو لأنه ظاهر
الإعجاز، ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من آمن به، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السلامة والنجاة
من عذاب الله أو سبل الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ
مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾:

قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾: معناه بت القول، على أن حقيقة الله هو المسيح لا
غير. قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك، وقيل: ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي
إليه، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم، ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا﴾: فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً، ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ﴾: من دعوه إلهاً من
المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وأراد بعطف ﴿وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ﴾ على «المسيح... وأمه» أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في
البشرية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق
عيسى^(٢)، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم. أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد
عيسى معجزة له، وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك. فيجب أن ينسب
إليه ولا ينسب إلى البشر المجري على يده.

(١) قوله «إلا اقتضاء حكم وصفته» لعل هنا سقطاً أو تحريفاً أوجب خفاء المعنى فليحذر. (ع)

(٢) قوله «كما خلق عيسى» في النسفي: ويخلق من ذكر من غير أنثى، كما خلق حواء من آدم. (ع)

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ :

﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾: أشياع ابني الله عزير والمسيح^(١)، كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير (الخببيون) وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أنبياء الله، ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم..، ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياماً معدودات على زعمكم، ولو كنتم أبناء الله، لكنتم من جنس الأب، غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب، ولو كنتم أحبائه، لما عصيتموه ولما عاقبكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من جملة من خلق من البشر، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهم أهل الطاعة، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وهم العصاة^(٢).

﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ :

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع، وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه. أو يقدر ما كنتم تخفون، وحذفه لتقدم ذكره. أو لا يقدر ويكون المعنى: يبدل لكم البيان، ومحلّه النصب على الحال، أي: مبيناً لكم..، ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ متعلق بـ «جاءكم»، أي: جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي، ﴿أَن تَقُولُوا﴾: كراهة أن تقولوا، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ متعلق بمحذوف، أي: لا تعتذروا فقد جاءكم، وقيل: كان بين عيسى ومحمد - صلوات الله عليهما - خمسمائة وستون سنة، وقيل: ستمائة، وقيل: أربعمائة ونيف وستون، وعن الكلبي: كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف

(١) قال محمود: «معنى قولهم أبناء الله أشياع ابني الله عزير... إلخ» قال أحمد: ومنه قول الملائكة لأنهم خواص عباد الله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ ثَمَرِيٍّ إِلَيْهِم كَلِمَاتٍ لِّيُحْكَمُوا بَيْنَهُمْ فِي شَأْنِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ ثَمَرِيٍّ إِلَيْهِم كَلِمَاتٍ لِّيُحْكَمُوا بَيْنَهُمْ فِي شَأْنِهِمْ﴾ فأضافوا التقدير إليهم، وفي الحقيقة المقدر الله «وكذلك قول الدابة - لأنها من خواص آيات الله -: ﴿أَنْ أَلَامَسَ كَانُوا بِأَيْدِينَا لَا يُوَفُّونَ﴾ فيمن جعله من قول الدابة، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «يعني أهل الطاعة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ قال: يعني العصاة» قال أحمد رحمه الله: بل مشيئة الله تعالى تسع الثائب المنيب، والعاصي المصير إذا كان موحداً. والزمخشري أخرج هذا التفسير على قاعدته المتكررة في غير ما موضع، وهي القطع بوعيد العصاة المصيرين الموحدتين، وأن المغفرة لهم محال.

نبي وبين عيسى ومحمد - صلوات الله عليهم - أربعة أنبياء. ثلاث من بني إسرائيل، وواحد من العرب: خالد بن سنان العبسي، والمعنى: الامتتان عليهم، وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكون إليه، ليهشوا إليه ويعذوه أعظم نعمة من الله، وفتح باب إلى الرحمة، وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من بينهم عن غفلتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَهَاتَانِكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ يَنْقُورِ أَذْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَذَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قَالَ لَأَوْ يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَذْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ لَأَوْ يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذُرُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَغَتَبْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ :

﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ : لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء^(١)،
 ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ : لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه، وبعد الجبارة ملكهم، ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء، وقيل: كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله، فسمي إنقاذهم ملكاً، وقيل: الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار، وقيل: من له بيت وخدم، وقيل: من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق، ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ

(١) قال محمود: «لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء... إلخ» قال أحمد: والحامل على تفسير الملك بهذه التفسير أن الله تعالى أنبأ في ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكاً بقوله ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ ولم يقل ﴿جَعَلَ فِيكُمْ مُلُوكًا﴾ كما قال ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ فلما عمم الملك فيهم، ولا شك أن الملك - المعهود هو الاستيلاء العام - لم يثبت لكل أحد منهم، فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتاً لجميعهم أو لأكثرهم من الأبعاض المذكورة. هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك، والله أعلم. وهذا المعنى وإن لم يثبت لكل واحد منهم إلا أنه كان ثابتاً لملوكهم وهم منهم، إذ إسرائيل الأب الأقراب يجمعهم، فلما كانت ملوكهم منهم وهم أقرباؤهم وأشياعهم وملتبسون بهم، جاز الامتتان عليهم بهذه الصنيعة، والمعنى مفهوم. وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفاً في قول اليهود والنصارى ﴿مَنْ أَسْلَمَ إِلَى اللَّهِ وَأَجَبْتُمْ﴾ وما بالعهد من قدم. فإن قلت: فلم لم يقل إذ جعلكم أنبياء لأن الأنبياء منهم كما قلت في الملوك؟ قلت: النبوة مزية غير الملك. وآحاد الناس يشارك لذلك في كثير مما به صار الملك ملكاً، ولا كذلك النبوة فإن درجتها أرفع من أن يشارك من لم يثبت له مع الثابتة نبوته في مزيته وخصوصيتها ونعتها، فهذا هو سر تمييز الأنبياء وتعميم الملوك، والله أعلم.

أَعْلِيَيْنَ ﴿﴾ من فلق البحر، وإغراق العدو، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك من الأمور العظام، وقيل: أراد عالمي زمانهم، ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: يعني أرض بيت المقدس، وقيل: الطور وما حوله، وقيل: الشام، وقيل: فلسطين ودمشق وبعض الأردن، وقيل: سماها الله لإبراهيم ميراثاً لولده حين رفع على الجبل، فقيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين، ﴿كُنَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: قسمها لكم وسماها، أو خط في اللوح المحفوظ أنها لكم، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابة جبناً وهلعاً، وقيل: لما حدثهم النقباء بحال الجبابة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: ليتنا متنا بمصر، وقالوا: تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر، ويجوز أن يراد: لا تترددوا على أديباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم - فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة. الجبار (فعال) من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: هما كالب ويوشع، ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: من الذين يخافون الله ويخشونه، كأنه قيل: رجلا من المتقين، ويجوز أن تكون الواو لـ «بني إسرائيل» والراجع إلى الموصول محذوف تقديره: من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون، وهما رجلا منهم، ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالإيمان فآمنا، قال لهم: إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها، فلا تحافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم، وقراءة من قرأ: «يخافون» بالضم شاهدة له، وكذلك أنعم الله عليهما، كأنه قيل: من المخوفين، وقيل: هو من الإخافة، ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة. أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب. فإن قلت: ما محل (أنعم الله عليهما)؟ قلت: إن انتظم مع قوله: (من الذين يخافون) في حكم الوصف لـ «رجلان» مرفوع، وإن جعل كلاماً معترضاً فلا محل له. فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى بذلك، وقوله تعالى: ﴿كُنَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرته رسله، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفا من حال الجبابة، والباب: باب قريتهم، ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾ نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤبس، و﴿أَبْدًا﴾: تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاوول، و﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ بيان للأبد، ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ يحتمل ألا يقصدوا حقيقة الذهاب^(١)، ولكن كما تقول: كلمته فذهب يجيبني، تريد معنى

(١) قال محمود: «ويحتمل ألا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن... إلخ» قال أحمد رحمه الله: يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهي محال عقلاً تعنتاً منهم. وقد مر له ذلك، وبيننا أن تلبسهم بذلك لعدم فهم الإيمان به على التعيين اقتراحاً وتفاعساً عن الحق في قوله ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾.

الإرادة والقصد للجواب، كأنهم قالوا: أريد قتالهم، والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة، والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم. ويحكي أن موسى وهارون عليهما السلام خزا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما، فهوما برجمهما، ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أُمَّدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ١٨٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥)
 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

لما عصوه وتمزدوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبين معه مطيع موافق يشق به إلا هارون، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾: لنصرة دينك^(١)، ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصر ونحوه قول يعقوب - عليه السلام - ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّقَ إِلَيَّ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٨٦]، وعن علي - رضي الله عنه - أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة، فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء^(٢)، ودعا لهما وقال: أين تقعان مما أريد؟ وذكر في إعراب (أخي) وجوه: أن يكون منصوباً عطفاً على نفسي أو على الضمير في (إني) بمعنى: ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، ومرفوعاً عطفاً على محل «إن» واسمها. كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي^(٣)، وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في (لا أملك)، وجاز للفصل، ومجروراً عطفاً على الضمير في (نفسى)،

(١) عاد كلامه. قال محمود: «قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي... إلخ» قال أحمد: وفي قول موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء لتبيننا عليه الصلاة والسلام: إني جريت بني إسرائيل وخبرتهم، فارجع إلى ريك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك. وتكريره هذا القول مراراً مصداق لما ذكره الزمخشري. وأما إن كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب - وكانا من العماليق الذين خافهم بنو إسرائيل - ويكون معنى يخافون أي يخافهم بنو إسرائيل - فالضمير على هذا يرجع إلى بني إسرائيل، والعمائد محذوف وهو المفعول. فعلى هذا لا شك أن هذين الرجلين ليسا من بني إسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة. وإنما عنى موسى عليه السلام: إني لا أملك من بني إسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد إلا نفسي وأخي، والله أعلم.

(٢) قوله «فتنفس الصعداء» في الصحاح: الصعداء بالضم والمد تنفس ممدود اهـ. (ع)

(٣) قوله «بمعنى لا أملك إلا نفسي» لعله بمعنى إني لا أملك. وعبارة النسفي. أي إني لا أملك... إلخ. (ع)

وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور^(١) إلا بتكرير الجار^(٢). فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت: كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره، ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقيلاً لمن يوافقه، ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني، ﴿فَأَفْرَقُوا﴾: فافصل، ﴿بَيْنَنَا﴾ وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم، ولذلك وصل به قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: على وجه التسيب، أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: ﴿يَخِي مِنْ الْفَوْرِ الظَّلِيلِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ﴿فَإِنَّهَا﴾: فإن الأرض المقدسة، ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلماً أبوا الجهاد قيل: فإنها محرمة عليهم، والثاني: أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان ما كتب، فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه، وقيل: لما مات موسى بعث يوشع نبياً، فأخبرهم بأنه نبي الله، وأن الله أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم، وصار الشام كله لبني إسرائيل، وقيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال: ﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ وهلكوا في التيه ونشأت نواشيء من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف إما (محرمة) وإما (يتيهون) ومعنى، ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً، والتهيه: المفازة التي يتاه فيها. روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين، حتى إذا سُموا وأمسا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظلمهم من حز الشمس، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم، وينزل عليهم المن والسلوى، ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله. فإن قلت: فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره، وهم معاقبون؟ قلت: كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركاً لهم^(٣)،

(١) قوله «على ضمير المجرور» لعله على الضمير. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: ورد الشيخ هذا الوجه بأنه يلزم منه أن موسى وهارون لا يملكان إلا نفس موسى فقط، وليس المعنى على ذلك. وهذا الرد ليس بشيء، لأن القائل بهذا الوجه صرح بتقدير المفعول بعد الفاعل المعطوف، وإيضاً اللبس مأمون، فإن كل أحد يتبادر إلى ذهنه أنه يملك أمر نفسه. انتهى. الدر المصون.

(٣) قوله «عركاً لهم» في الصحاح: عركت الشيء: دلكته. وعرك البعير جنبه بعرفقه. وفيه أيضاً: الدعك مثل الدعك. وقد دعكت الأديم والخصم: ليته. (ع)

وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة، ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتشقق ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه. فإن قلت: هل كان معهم في التيه موسى وهارون عليهما السلام؟ قلت: اختلف في ذلك، فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقاباً، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم، وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وسلامة، ولا عقوبة، كالنار لإبراهيم، وملانكة العذاب، وروي أن هارون مات في التيه، ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر، ومات النقيب في التيه بغتة، إلا كالب ويوشع، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم، فقيل: إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب، فلا تحزن ولا تندم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل، أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر، وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط. فقال لهما آدم: قربا قربانا، فمن أيكما تقبل زوجها، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته؛ فازداد قابيل حسداً وسخطاً، وتوعده بالقتل، وقيل: هما رجلان من بني إسرائيل، ﴿بِالْحَقِّ﴾ تلاوة متلبسة بالحق والصحة. أو اتله نبأ متلبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين. أو بالعرض الصحيح وهو تقبيح الحسد؛ لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ويبغون عليه. أو اتل عليهم وأنت محق صادق، ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبا أي: قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلاً من النبا، أي: اتل عليهم النبا نبأ ذلك الوقت، على تقدير حذف المضاف، والقربان: اسم ما يتقرب به إلى الله من نسكة

أو صدقة، كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي: يعطى. يقال: قرب صدقة وتقرب بها، لأن تقرب مطاوع قرب، قال الأصمعي: تقربوا قرف القمع^(١) فيعدي بالباء حتى يكون بمعنى قرب. فإن قلت: كيف كان قوله: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»: جواباً لقوله: «لَأَقْتُلَنَّكَ»؟ قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حملة على توعده بالقتل قال له: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي، فلم تقتلني؟ ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول؟ فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم، وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك فقد كنت وكنت؟ قال إني أسمع الله يقول: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ». «مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ» قيل: كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تخرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفاً من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحاً في ذلك الوقت. قاله مجاهد وغيره، «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ» أن تحتل إثم قتلي لك لو قتلتك وإثم قتلك لي. فإن قلت: كيف يحمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى؟ قلت: المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام، كما تقول: قرأت قراءة فلان، وكتبت كتابته، تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره، ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام: «المستبان ما قالوا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم» (٥٢٢) على أن البادي عليه إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه؛ لأنه كان سبباً فيه، إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه، لأنه مكافئ مدافع عن عرضه. ألا ترى إلى قوله: «ما لم يعتد المظلوم» لأنه إذا خرج من حدّ المكافأة واعتدى لم يسلم. فإن قلت: فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتخرج عما كان محظوراً في شريعته من الدفع، فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان؟ قلت: هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر، كأنه قال: إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك، وقيل: (بإثمي) بإثم قتلي

٥٢٢ - أخرجه مسلم في صحيحه (٣٨٥/٨) - كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) - باب النهي عن السباب (١٨) (٢٥٨٧/٦٨) من حديث أبي هريرة.

والبخاري في الأدب المفرد (ص ٣٢٦/١٦٤، ٣٢٧) - باب المستبان ما قالوا فعلى الأول - من حديث أبي هريرة، وأنس نحوه، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، ولبخاري في الأدب المفرد عن أنس نحوه. انتهى.

(١) قوله: «تقربوا قرف القمع» في الصحاح: القرف القشر. والقمة رأس السنام، والجمع قمع، والقمع أيضاً: برة تخرج في شفر العين. (ع)

(وإثمك) الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت: فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه^(١) بالنار؟ قلت: كان ظالماً وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ وإذا جاز أن يريده الله، جاز أن يريده العبد؛ لأنه لا يريد إلا ما هو حسن^(٢)، والمراد بالإثم وبالقتل وما يجره من استحقاق العقاب، فإن قلت: لم جاء الشرط بلفظ الفعل^(٣) والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: ﴿لَيْنًا بَسَطْتَ . . . مَا أَنَا بِبَاطِلٍ﴾؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي، ﴿فَلَوْعَتَ لَمْ نَقْسُمُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾: فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع، وقرأ الحسن: «فطاوعت»، وفيه وجهان: أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل، وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع، و«له» لزيادة الربط كقولك: حفظت لزيد ماله، وقيل: قتل وهو ابن عشرين سنة، وكان قتله عند عقبة حراء، وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ روي: أنه أول قتيل

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه . . . إلخ» قال أحمد: وهذا من دسه للمعتقد الفاسد في بيان كلامه، والفاسد من هذا اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مراداً لله تعالى وتلك القبائح بجملتها، فإنها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية، وهذا هو الشرك الخفي؛ فإياك أن تحوم حول شركه والعباد بالله فأما إرادته لإثم أخيه وعقوبته فمعناه: إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب، ولما لم يكن بد من إرادة أحد الأمرين: إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مرید للأول اضطر إلى الثاني، فلم يرد إذاً إثم أخيه لعينه، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية إلى القتل ولم تكن حينئذٍ مشروعة فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه. وهذا كما يتمنى الإنسان الشهادة. ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه، وإنما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتله ضمناً وتبعاً. والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة، وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر، وبين أن يختم له بالإيمان فيحبط عنه إثم القتل الذي به كان الشهيد شهيداً، أعني بقي الإثم على قاتله أو حبط عنه إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيداها، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصوداً لاختلف التسمي باعتبار بقاءه وإحباطه فدل على أنه أمر لازم تبع لا مقصود، والله أعلم.

(٢) قوله «لأنه لا يريد إلا ما هو حسن» هذا مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة، فالله يريد كل كائن حسناً كان أو قبيحاً كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(٣) عاد كلامه.

قال: «فإن قلت: لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل . . . إلخ» قال أحمد: وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير. وأما انصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل. ومن ثم يقولون: قام زيد فهو قائم، فيجعلون انصافه بالقيام ناشئاً عن صدره منه، ولهذا المعنى قوله تعالى ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ التَّرْجُومِينَ﴾ عدولاً عن الفعل الذي هو لترجمتك إلى الاسم تغليظاً. يعنون أنهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة، ولا يقتصرون على مجرد إيقاعها به.

قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه بالعرء لا يدري ما يصنع به، فخاف عليه السباع فحملة في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرايين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة ﴿قَالَ يَتَوَلَّىٰ أَعْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْفَرَابِ﴾ ويروى أنه لما قتله اسودَّ جسده وكان أبيض، فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك اسودَّ جسدي، وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعره، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صحَّ أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر، ﴿لِيرِيَهُ﴾: ليريه الله. أو ليريه الغراب، أي: ليعلمه؛ لأنه لما كان سبب تعليمه، فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز، ﴿سَوَاءٌ أَخِيهِ﴾: عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده، والسوأة: الفضيحة لقبحها. قال [من الخفيف]:

يَا لَقَوْمِي لِلسَّوْءَةِ السَّوْءِ (١)

أي: للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها، ﴿فَأُوْرِي﴾: بالنصب على جواب الاستفهام (٢)، وقرئ بالسكون على: فأنا أواري. أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف، ﴿مِنْ أَلْتَدِيمِينَ﴾: على قتله، لما تعب فيه من حملة وتحيره في أمره، وتبين له من عجزه، وتلمذه للغراب، واسوداد لونه وسخط أبيه، ولم يندم ندم التائبين، ﴿مِنْ أَجَلِ ذَلِكَ﴾: بسبب ذلك وبعلة، وقيل: أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلاً، ومنه قوله [من الطويل]:

وَأَهْلُ خِيَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قَدْ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلِ أَنَا أَجَلُهُ (٣)

(١) عجزيت، وصدرة:

لم يهتُ حرمة النديم وحقت
ينظر: اللسان (سوأ)، البحر (٣/٤٨٠)، الدر المصون (٢/٥١٣).

(٢) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ذكره أبو القاسم زده أبو البقاء بعد أن حكاه عن قوم، قال: «وذكر بعضهم أنه يجوز أن ينتصب على جواب الاستفهام وليس بشيء، إذ ليس المعنى: أَيْكونُ مني عجزُ فمؤارة، ألا ترى أن قولك: «أين بيتك فأزورك» معناه: لو عرفتُ لزرْتُ، وليس المعنى هنا لو عجزت لوأزرت» قلت: وهذا الردُّ على ظاهره صحيح، وبسطُ عبارة أبي البقاء أن النحاة بشرطون في جوازِ نَصْبِ الفعلِ بإضمارِ «أن» بعد الأشياءِ الشمانية - غيرِ النفي - أن ينحلَّ الكلامُ إلى شرطٍ وجزاء، فإن انعقد منه شرطٌ وجزاءٌ صحَّ النصبُ، وإلا امتنع، ومنه: «أين بيتك فأزورك» أي: إن عرفتني بيتك أزرك، وفي هذا المقام لو حلَّ منه شرطٌ وجزاءٌ لفسدَ المعنى، إذ يصير التقدير: إن عجزت وأزرت، وهذا ليس بصحيح. لأنه إذا عجز كيف يوارى. وردَّ الشيخ على أبي القاسم بما تقدّم، وجعله غلطاً فاجشاً، وهو مسبوق إليه كما رأيت، فأساء عليه الأدب بشيء نقله عن غيره، الله أعلمُ بصحته. انتهى. الدر المصون.

(٣) وأهل خيأء صالح ذات بينهم
فأقبلت في الباغيين أسأل عنهم

لخوات بن جبير، يصف نفسه بأنه مهياج للشرور والحروب، يقول: ورب أهل خيأء، أي بيوت =

كأنك إذا قلت: من أجلك فعلت كذا، أردت من أن جنيت فعله وأوجبت، ويدل عليه قولهم: من جراك فعلته، أي: من أن جررته بمعنى جنيته، وذلك إشارة إلى القتل المذكور، أي: من أن جنى ذلك القتل الكتب وجزه، ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (ومن) لا ابتداء الغاية، أي: ابتداء الكتب ونشأ من أجل ذلك، ويقال: فعلت كذا لأجل كذا، وقد يقال: أجل كذا، بحذف الجار وإيصال الفعل قال: أجل أنّ الله قد فضلكم، وقرئ: «من أجل ذلك»، بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها، وقرأ أبو جعفر: «من أجل ذلك»، بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون ملقياً لكسرة الهمزة عليها، ﴿يَغْيِرُ نَفْسِي﴾: بغير قتل نفس، لا على وجه الاقتصاص، ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو الشرك، وقيل: قطع الطريق، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك. فإن قلت: كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم؟ قلت: لأن كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمة وعلى العكس، فلا فرق إذاً بين الواحد والجميع في ذلك. فإن قلت: فما الفائدة في ذكر ذلك؟ قلت: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها، وعن مجاهد: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله، والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك، وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيت لو قتلت الناس جميعاً أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به؟ كلا إنه شيء سؤلته لك نفسك والشيطان، فكذلك إذا قتلت واحداً، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات، ﴿أُنْسِرُفُونَ﴾ يعني في القتل لا يبالون بعظمته.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي

= متلاصقة كأنها بيت واحد. أو كئى به عن تقاربهم في النسب صالح ذات بينهم. أي الحال التي بينهم صلحة، قد تحاربوا بسبب شر عاجل أنا أجله أي جانبه قبل الحرب ومهيجه. وفيه شبه التضاد. ويقال: أجل الشر أجلاً إذا جناه ومهيجه، فمحاربتهم كانت من أجله وسببه، فانخذل الباغون للنشر، فأقبلت أسأل عنهم، كسؤالك بالأمر: أي عن الأمر الذي أنت جاهله، أفاد بالتشبيه أنه ليس جاهلاً بهم حين سؤاله، وإنما كان يريد أنهم معهم ومحب لهم لا لعدوهم. ينظر: ديوانه (١٤٥)، تفسير القرطبي (١٤٥/٦)، الدر المصون (٥١٥/٢).

الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ :

﴿مُحَارِبُونَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾: يحاربون رسول الله ﷺ، ومحاربة المسلمين في حكم محاربهته، ﴿وَيَسْتَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: مفسدين، أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة: ويفسدون في الأرض فانتصب (فساداً). على المعنى، ويجوز أن يكون مفعولاً له، أي: الفساد. نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد وقد مرّ بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم (٥٢٣)، وقيل: في العرنيين، فأوحى إليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل، ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال، ورجله لإخافة السبيل، ومن أفرد الإخافة نفى من الأرض، وقيل: هذا حكم كل قاطع طريق كافراً كان أو مسلماً، ومعناه ﴿أَن يُفْتَلُوا﴾ من غير صلب، إن أفردوا القتل، ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾: مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ. قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: يصلب حياً، ويطن حتى يموت، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خَلْفٍ﴾: إن أخذوا المال، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: إذا لم يزيدوا على الإخافة، وعن جماعة منهم الحسن والنخعي: أن الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل، والنفى: الحبس عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: النفي من بلد إلى بلد، لا يزال يطلب وهو هارب فزعاً، وقيل: ينفي من بلده، وكانوا ينفونهم إلى (دهلك) وهو بلد في أقصى تهامة، و(ناصر) وهو بلد من بلاد الحبشة، ﴿خِزْيًا﴾: ذلّ وفضيحة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة، وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فالى الأولياء، إن شاءوا عفواً، وإن شاءوا استوفوا، وعن عليّ - رضي الله عنه -: أن الحارث بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق، فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة (٥٢٤).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ :

٥٢٣ - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٤٧/٤).
٥٢٤ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧٨٩/٤٤٤/٦) - قال: حدّثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر قال: كان حارثة بن بدر التميمي... فذكره.
وأخرج أيضاً من طريق عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث عن الشعبي: نحوه.
وقال الحافظ ابن حجر في الكشف: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية مجالد عن الشعبي. قال: كان حارثة بن بدر التميمي قد أفسد في الأرض وحارب، فذكر قصة هذا فيها. انتهى.

الوسيلة: كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي، وأشد للبيد [من الطويل]:
أَرَى النَّاسَ لَا يَذُرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ أَلَا كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ؟^(١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾:

﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾: ليجعلوه فدية لأنفسهم، وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه، وعن النبي ﷺ: «يقال للكافر يوم القيامة: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد سنلت أيسر من ذلك» (٥٢٥) و (لو) مع ما في حيزه خبر (إن). فإن قلت: لم وحد الراجع في قوله: ﴿لَيَفْتَدُوا

٥٢٥ - أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٨/١١) - كتاب الرقاق (٨١) - باب من نوقش الحساب عذب (٤٩) (٦٥٣٨)، ومسلم في الصحيح (٢١٦١/٤) - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) - باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (١٠) (٢٨٠٥/٥٢).

- (١) ألا تسألان المرء ماذا يحاول؟ أنحب فيقضي أم ضلال وباطل؟
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله واسل؟
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل؟
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصفر منها الأنامل

للبيد بن ربيعة العامري. وهمزة الاستفهام التي بعدها النفي للتحضيض على الفعل، أي: سلاه وقولا له: ما الذي تريده وتجهد نفسك في تحصيله؟ وعبر بلفظ الغيبة نظراً للفظ المرثي. وخطاب المثني عادة جارية على لسان العرب، وإن كان المراد غيره. وقوله «أنحب» بدل «ما» والنحب: النذر والحمد والسرعة، كما أن النعب - بالعين - السرعة أي أغرض صحيح فيقضي له. أم باطل فلا ينبغي؟ أو المعنى: أشيء أوجه على نفسه فهو يسعى في قضائه، أم ضلال؟ وعلى كل فلا ينبغي: وقوله «ما قدر أمرهم» أي ما الذي هم فيه من شئون الدنيا وسرعة فنائها. و «ألا» استفتاحية «كل ذي لب» أي عقل «واسل» إلى الله لا إلى غيره، أي متوسل به وملتجئ إليه من شر الدنيا وشر من لا يعقل، أو متقرب إليه بما ينفعه. ويروي «بلى كل» وهي أوقع معنى، لأنها رد لدعوى تعميم السابقة. ويروي «واصل» بالصاد، أي صائر أو متوجه بكليته، ويجوز فيه وفي واسل أنها بمعنى متقرب إلى الله بالطاعة، لا مشتغل بالدنيا الفانية كغيره من الجهال. و «باطل» خبر كل شيء. و «زائل» خبر كل نعيم. و «لا محالة» اعتراض مؤكدا. و «الدويهة» تصغير الداهية وهي المنية، بقرينة ما بعد. وتصغيرها للتعظيم والتهويل، أو للتحقير على زعم الغافلين المتهاونين.

ينظر ديوانه ص ٢٥٦، ولسان العرب: (وسل)، وتهذيب اللغة: ٦٧/١٣، ومقاييس اللغة: ٦/ ١١٠، وأساس البلاغة (وسل) ومجمل اللغة: ٥٢٥/٤، وتاج العروس (وسل).

يده. وقد ذكر شيثان؟ قلت: نحو قوله [من الطويل]:

فإنني وقيارٌ بها لغريبٌ^(١)

أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل: ليفتدوا بذلك، ويجوز أن يكون الواو في (منله) بمعنى «مع»^(٢) فيتوحد المرجوع إليه. فإن قلت: فبم ينصب

= وأحمد في المسند (٣/٢١٨)، وابن جرير في تفسيره (٣/٣٤٤/٧٣٨٢)، وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه. انتهى.

(١) دعاك الهوى والشوق لما ترنحت هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوبها ورق أصخن لصوتها فكل لكل مسعد ومجيب
فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريب

لضابيء بن الحارث البرجي حين حبسه عثمان بن عفان لما هجا بني نهشل. والترنج: التمايل. ويروى «ترنمت» أي تغنت بحسن صوتها. وهتفت الحمامة إذا غردت، فهي هتوف أي مفردة. و«بين» ظرف للترنج. و«طروب» مبالغة في الطرب، يوصف به المذكر والمؤنث، كهتوف. وهو فاعل، وهتوف حال؛ وإضافته لا تفيد التعريف في المعنى. ويجوز رفعه على أنه فاعل، وطروب نعت؛ لأنه وصف مضاف فلا تعريف له في اللفظ أيضاً. و«الورق» جمع ورقاء نوع من الحمام. و«أصخن» ملن واستمعن. ويروى «أرعن» ولم أجد في كتب اللغة «رعن» إلا بمعنى زكي ونمي، فلعل معناه نشطن على المجاز. وروي «ومن يك» بالواو. ومرفوع «أمسى» ضمير «من». وجملة «بالمدينة رحله» خبره، والجملة خبر يكن. ويجوز أن مرفوعه هو رحله، وجواب الشرط محذوف، أي ومن أمسى رحله بالمدينة حسن حاله، بخلاف حالي، فإني غريب لأن رحلي - أي منزلي - ليس فيها، وإنما فيها أنا وفرسي فقط. و«قيار» اسم فرسه. وقيل جملة. وقيل غلامه. وهو مبتدأ أو معطوف على محل اسم «إن» حذف خبره اختصاراً لدلالة المذكور عليه، فالعطف من عطف الجمل أو المفردات. وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه، لكنه على نية التقديم والتأخير، وهو سماعي لا يجوز القياس عليه، ولا يجوز جعل الغريب خبراً عنهما لثلا يتوارد عاملان على معمول واحد، ولا جعله خبراً عن قيار؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر المؤخر. والبيت لفظه خبر، ومعناه إنشاء التحسر والتحزن، لكونه غريباً وحيداً.

ينظر الأصمعيات ص ١٨٤، والإنصاف ص ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٣٨٥، وخزانة الأدب ٩/٣٢٦، ١٠/٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، والدرر ٦/١٨٢، وشرح أبيات سيبويه ١/٣٦٩، وشرح التصريح ١/٢٢٨، وشرح شواهد المغني ص ٨٦٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٨٦، والشعر والشعراء ص ٣٥٨، والكتاب ١/٧٥، ولسان العرب (قير)، ومعاهد التنصيص ١/١٨٦، والمقاصد النحوية ٢/٣١٨، ونوادر أبي زيد ص ٢٠، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/١٣٠، وأوضح المسالك ١/٣٥٨، ووصف المباني ص ٦٧، وسر صناعة الإعراب ص ٣٧٢، وشرح الأسموني ١/١٤٤، ومجالس ثعلب ص ٣١٦، ٥٩٨، وجمع الهوامع ٢/١٤٤، والدر المنصور ١/٣١٢.

(٢) قال السمين الحلبي: والذي يظهر من كلام الزمخشري هنا وفي تصانيفه أنه ما وقف على مذهب سيبويه في هذه المسألة، وعلى المفرغ على مذهب المبرد لا يجوز أن تكون الواو بمعنى مع، والعامل فيها «بُئِت» المقدر لما تقدم من وجود لفظه معه، وعلى تقدير سقوطها لا يصح، لأن =

المفعول معه؟ قلت: بما يستدعيه (لو) من الفعل، لأن التقدير: لو ثبت أن لهم ما في الأرض. قرأ أبو واقد «أن يُخرجوا» بضم الياء من أخرج، ويشهد لقراءة العامة قوله: (بخارجين)، وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار^(١)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِيكَ مِنْهَا﴾: فقال: ويحك، اقرأ ما فوقها. هذا للكفار (٥٢٦). فما لفقته المجبرة^(٢) وليس بأول تكاذيبهم وفراهم، وكفالك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله ﷺ وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده^(٣) من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها، بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية.

٥٢٦ - قال الحافظ ابن حجر: لم أجده، وقد أنكره صاحب الكشاف، وقال: هذا مما لفقه المجبرة، وليس أول تكاذيبهم إلى آخر كلامه. انتهى.

= «ثبت» ليس رافعاً لـ «ما» العائد عليه الضمير، وإنما هو رافعٌ مصدرًا منسكباً من أن وما بعدها وهو كَوْنٌ، إذ التقدير: لو ثبت كَوْنُ ما في الأرض جميعاً لهم ومثله معه ليفتدوا به، والضميرُ عائِدٌ على ما دون الكون، فالرفع للفاعل غيرِ الناصب للمفعول معه، إذ لو كان إياه لَزِمَ من ذلك وجود الثبوت مصاحباً للمثل، والمعنى على كينونة ما في الأرض مصاحباً للمثل لا على ثبوت ذلك مصاحباً للمثل، وهذا فيه غموضٌ، وبيانه: إذا قلت: «يعجبني قيامُ زيدٍ وعمراً» جعلت «عمراً» مفعولاً معه، والعامل فيه «يعجبني» لَزِمَ من ذلك أن عمراً لم يَقُمْ، وأعجبتك القيامُ وعمرو، وإن جعلت العاملَ فيه القيامُ كان عمرو قائماً، وكان الإعجابُ قد تعلقَ بالقيامِ مصاحباً لقيامِ عمرو، فإن قلت: هل كان «ومثله معه» مفعولاً معه، والعامل فيه هو العامل في «لهم» إذ المعنى عليه؟ قلت: لا يصح ذلك لما ذكرناه من وجودِ «معه» في الجملة، وعلى تقدير سقوطها لا يَصِحُّ، لأنهم نُصُّوا على أن قولك: «هذا لك وأباك» ممنوعٌ في الاختيار، قال سيويه: «وأما هذا لك وأباك» فبيحٌ لأنه لم يذكر فعلاً ولا حرفاً فيه معنى فعل، حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل «فأفصح سيويه بأن اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن لمعنى الاستقرار لا يعملان في المفعول معه، وقد أجاز بعض النحويين في حرف الجر والظرف أن يعملا في المفعول معه نحو: «هذا لك وأباك» فقوله: «وأباك» يكون مفعولاً معه والعامل الاستقرار في «لك» انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار... إلخ» قال أحمد: في هذا الفصل من كلامه وتمشده بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الأخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمي الكبد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه، ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية، ولا وقف الله صحة العقيدة على صحتها.

(٢) قوله «فما لفقته المجبرة» يعني أهل السنة بخروج صاحب الكبيرة من النار لأنه مؤمن خلافاً للمعتزلة القائلين لا مؤمن ولا كافر بل واسطة. وتحقيق المبحث في علم التوحيد. (ع)

(٣) قوله «وأنضاده» في الصحاح: أنضاد الرجل، أعمامه وأخواله المتقدمون في الشرف. (ع)

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ مَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيُعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ : رفعهما على الابتداء والخبر المحذوف^(١) عند سيبويه، كأنه قيل :

(١) قال محمود: «رفعهما على الابتداء والخبر المحذوف عند سيبويه كأنه... إلخ» قال أحمد: المستقراً من وجود القراءات أن العامة لا تتفق فيها أبداً على العدول عن الألف. وجدير بالقرآن أنه يجري على أفصح الوجود، وألا يخلو من الألف وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل أحد منهم إلى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدابها. وسيبويه يحاشي من اعتقاد عراء القرآن عن الألف، واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن. ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل. قال سيبويه - في ترجمة باب الأمر والنهي، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب -: وملخصها أنه متى بنى الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب، ثم قال: كالموضع لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب. وأما قوله عز وجل ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾... الآية وقوله ﴿أَنْزِلْنَاهَا نُزُلًا وَمِنْ لَدُنَّا﴾... فإن هذا لم يبين على الفعل، ولكنه جاء على مثال قوله ﴿تَنْزِيلَ الْمُنَّةِ الَّتِي وَعَدَ السُّورِيُّ﴾ ثم قال بعد (فيها أنهار) فيها كذا... قلت: يريد سيبويه تمييز هذه الآية على المواضع التي بين اختيار النصب فيها، ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيها مبنياً على الفعل. وأما في هذه الآية فليس بمبنى عليه، فلا يلزم فيه اختيار النصب. عاد كلامه. قال: وإنما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخباراً وقصصاً، فكانه قال: ومن القصص مثل الجنة، فهو محمول على هذا الإضمار والله أعلم. وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَّسْنَاهَا﴾ قال في جملة الفرائض (الزانية والزاني) ثم جاء (فاجلدوا) بعد أن مضى فيها الرفع. قلت: يريد سيبويه: لم يكن الاسم مبنياً على الفعل المذكور بعد، بل بنى على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئاً. عاد كلامه. قال: كما جاء • وقائلة خولان فانكح فئاتهم • فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر، وكذلك (والسارق والسارقة) وفيما فرض عليكم السارق والسارقة، فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث. وقد قرأ ناس (السارق والسارقة) بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا الرفع، قلت: يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل، غير معتمد على متقدم، فكان النصب قوياً بالنسبة إلى الرفع، حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدم، وليس يعني أنه قوي بالنسبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم، فإنه قد بين أن ذلك يخرج من الباب الذي يختار فيه النصب، فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه، والباب مع القراءتين مختلف. وإنما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع، حيث يبنى الاسم على الفعل والرفع متعين، لا أقول أرجح حيث بنى الاسم على كلام متقدم، ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار، ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه إلى تقدير، بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزمخشري، فالملخص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الأمر، والرفع على وجهين: أحدهما ضعيف =

وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، ووجه آخر وهو أن يرتفعاً بالابتداء، والخبر، ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط، لأن المعنى: والذي سرق والتي سرت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، وفضلها سيويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن (زيداً فاضربه) أحسن من (زيد فاضربه)، ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾: يديهما، ونحوه: ﴿فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ﴾ [التحريم: ٤] اكتفى بثنية المضاف إليه عن ثنية المضاف، وأريد باليدين اليمينان، بدليل قراءة عبد الله: «السارقون والسارقات فاقطعوا أيما نهم»، والسارق في الشريعة: من سرق من الحرز: والمقطع: الرسغ، وعند الخوارج: المنكب، والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة، وعند مالك والشافعية - رحمهما الله - ربع دينار، وعن الحسن درهم وفي مواضعه: احذر من قطع يدك في درهم ﴿جِزَاءً﴾ و﴿نَكَالًا﴾: مفعول لهما^(١)، ﴿فَن تَابَ﴾: من السراق، ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: من بعد سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: أمره بالتفصي عن التبعات، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ اللَّهُ يُتُوبُ عَلَيْهِ﴾ ويسقط عنه عقاب الآخرة، وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه. وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه «من يشاء» من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصيرين والثائبين، وقيل: يسقط حدّ الحربي إذا سرق بالتوبة، ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه، ولا يسقطه عن المسلم^(٢): لأن في

= وهو الابتداء، وبناء الكلام على الفعل، والآخر قوي بالغ كوجه النصب، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق، وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوي والآخر ضعيف، تمين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيويه رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «تبع في ذلك الزجاج»، ثم قال: «وليس بجيد، إلا إذا كان الجزاء هو النكال فيكون ذلك على طريق البدل، وأما إذا كانا متباينين فلا يجوز ذلك إلا بوساطة حرف العطف». قلت: النكال نوع من الجزاء فهو بدل منه، على أن الذي ينبغي أن يقال هنا إن «جزاء» مفعول من أجله، العامل فيه «فاقطعوا» فالجزاء علة للأمر بالقطع، و«نكالا» مفعولاً من أجله أيضاً، العامل فيه «جزاء» والنكال علة للجزاء، فتكون العلة معللة بشيء آخر فتكون كالحال المتداخلة، كما تقول: «ضربته نادياً له إحساناً إليه» فالتأديب علة للضرب والإحسان علة للتأديب، وكلام الزمخشري والزجاج قبله لا ينافي ما ذكرته، فإنه لا منافاة بين هذا وبين قولهما «جزاء» مفعول من أجله، وكذلك «نكالا» فتأمل، فإنه وجه حسن، فطاح الاعتراض على الزمخشري والزجاج، والتفصيل المذكور في قوله: «إلا إذا كان الجزاء هو النكال». ثم ظفرت بعد ذلك بأنه يجوز في المفعول له أن يتصب مفعولاً له آخر يكون علة فيه، وذلك أن المُعْرَبِينَ أجازوا في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيًّا﴾ أن يكون «بنيًّا» مفعولاً له، ثم ذكروا في قوله: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ﴾ أنه مفعول له ناصبه «بنيًّا» فهو علة له، صرحوا بذلك فظهر ما قلت. و«بما» متعلق بـ «جزاء» و«ما» يجوز أن تكون مصدرية أي: بكسبهما، وأن تكون بمعنى الذي، والعائد محذوف لاستكمال الشروط أي: بالذي كسبها، والباء سببية. انتهى. الدر.

(٢) قوله «ولا يسقطه عن المسلم» لعله «ولا يسقط» أو «ولا تسقطه». (ع)

إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179]. فإن قلت: لم قدم التعذيب على المغفرة^(١)؟ قلت: لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة.

﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يُحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قرىء «لا يُحْزَنُكَ» بضم الياء، ويسرعون، والمعنى: لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين، ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ أي: في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاته المشركين، فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم. يقال: أسرع فيه الشيب، وأسرع فيه الفساد، بمعنى: وقع فيه سريعاً، وكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها، و﴿ءَامَنَّا﴾ مفعول قالوا، و﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» لا بـ «آمنَّا»، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: منقطع مما قبله خبر لـ «سماعون»، أي: ومن اليهود قوم سماعون، ويجوز أن يعطف على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ويرتفع سماعون على: هم سماعون، والضمير للفريقين. أو للذين هادوا، ومعنى، ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قابلون لما يفتره الأخبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك: الملك يسمع كلام فلان، ومنه (سمع الله لمن حمده)، ﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله ﷺ وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة، أي: قابلون من الأخبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك، وقيل: سماعون إلى رسول الله ﷺ لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير، سماعون من رسول الله لأجل

(١) قال محمود: «فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة... إلخ» قال أحمد: هو مبني على أن المراد بالمغفور لهم التائبون، وبالمعذبين السراق. ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة إلا بقيد التوبة، لأن غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له، فلذلك ينزل الإطلاق على المتقدم ذكره. ونحن نعتقد أن المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع للمشيئة، حتى أن من جملة ما يدخل في عموم قوله (ويغفر لمن يشاء) السارق الذي لم يتب. وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم.

قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيوناً ليبلغوهم ما سمعوا منه، وقيل: السَّمَاعُونَ: بنو قريظة، والقوم الآخرون: يهود خيبر، ﴿يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ﴾: يميلونه ويزيلونه، ﴿عَنْ مَوَاصِيهِ﴾ التي وضعه الله تعالى فيها، فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع، ﴿إِنْ أُوَيْدَتِ هَذَانَا﴾: المحرف المزال عن مواضعه، ﴿فَحَذُّوهُ﴾: واعلموا أنه الحق واعمَلوا به، ﴿وَبِن لَّمْ تُؤَوِّدُهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه، ﴿فَأَحْذَرُوا﴾ وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال، وروي: أن شريقاً من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد والتحميم^(١) فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانين معهم، فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا، فقال: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فذك يقال له: ابن سوريا؟» قالوا: نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكماً. فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟» قال: نعم، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال: خفت إن كذبت أن ينزل علينا العذاب. ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون، وأمر رسول الله ﷺ الزانين^(٢) فرجما عند باب مسجده (٥٢٧)

٥٢٧ - أخرجه أبو داود (١٥٥/٤، ١٥٦) - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين (٤٤٥٠، ٤٤٥١) وعبد الرزاق في تفسيره (٧٠٦)، والبيهقي في الكبرى (١٨٠/١٠)، وابن جرير (١٥٠/٦) في تفسيره - وابن المنذر كما في الدر المنثور (٢٨١/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٩/٦-٢٧٠)، وابن هشام في سيرته (٢٠٨/٢).

١ - وللحديث شاهد من حديث ابن عمر: أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٢/١٢، ٦٨٤١/١٢) ومسلم (١٦٩٩/٢٢٣/٦) وأبو داود (٤٤٤٦)، (٤٤٤٩)، والترمذي مقتصراً على قصة رجم اليهوديين (ج٤ - ١٤٣٦/٤)، وابن ماجه (ج٢ - ٢٥٥٦)، وأحمد (٥/٢).

٢ - وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله: أخرجه أبو داود (٤٤٥٢) (٤٤٥٥) وابن ماجه (٢٣٢٨).

قال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي حدّثني ابن شهاب سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة - فذكره، دون أوله، ودون قوله فيه: فقال له =

(١) قوله «والتحميم» أي التسويد. وفي الصحاح «الحمة» بالضم: السواد. (ع)
(٢) قوله «الزانين» لعله بالزانين. (ع)

... ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ تركه مفتوناً^(١) وخذلانه^(٢)، ﴿ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ﴾: فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئاً، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَمْنَحَهُمْ مِنَ الْطَّافَةِ مَا يُطَهِّرُ بِهِ قُلُوبَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، لَعَلَّمَهُ أَنهَا لَا تَنْفَعُ فِيهِمْ وَلَا تَنْجِعُ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴿ [النحل: ١٠٤]، ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

﴿ سَمِعُوكَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضَ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ السَّحْتُ ﴾: كل ما لا يحل كسبه، وهو من - سحته - إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى: ﴿ يَمْحُوكَ اللَّهُ أَرْبَابًا ﴾ [البقرة: ٢٧٦] والربا باب منه، وقرىء: «السحت» بالتخفيف والتثقيب، والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته. «والسحت»، بفتحيتين. «والسحت»، بكسر السين، وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام، وعن الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها

== جبريل: «اجعل بينك وبينهم ابن سوريا، فقال: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور، يسكن فداك» ودون ما في آخره، وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية معمر عن الزهري مطولاً - زاد فيه قصة الملك الذي كان زنى منهم فلم يرجموه، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره مختصراً. انتهى.

- (١) قال محمود: «معنى ومن يرد الله فتنته: ومن يرد تركه مفتوناً... إلخ» قال أحمد رحمه الله: كم يتلجج والحق أبلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة أهل السنة في أن الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين، ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر، لا كما تزعم المعتزلة عن أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد، وأراد من كل أحد الإيمان وطهارة القلب، وأن الواقع من الفن على خلاف إرادته، وأن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع، فحسبهم هذه الآية وأمثالها، لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. وما أبشع صرف الزمخشري هذه الآية عن ظاهرها بقوله: لم يرد الله أن يمنحهم الطافة، لعلمه أن الطافة لا تنجع فيهم ولا تنفع، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وإذا لم تنجع الطافة الله تعالى ولم تنفع، فلطف من ينفع وإرادة من تنجع؟ وليس وراء الله للمرء مطعم.
- (٢) قوله «تركه مفتوناً وخذلانه» قدر هذا بناء على أنه تعالى لا يريد الشر عند المعتزلة لكن عند أهل السنة يريد الشر والخير كما حقق في محله. (ع)

في كفه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب، وحكى أن عاملاً قدم من عمله فجاءه قومه، فقدم إليهم العراضة^(١) وجعل يخذلهم بما جرى له في عمله، فقال أعرابي من القوم: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَكَذِبًا أَكَلُوا لِلسُّحْتِ﴾ وعن النبي ﷺ: «كل لحم أنبت السحت فالنار أولى به» (٥٢٨) قيل: كان رسول الله ﷺ مخيراً - إذا تحاكم إليه أهل الكتاب - بين أن يحكم

٥٢٨ - روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة هم:

أبو بكر الصديق:

أخرجه الحاكم (١٢٧/٤) - كتاب الأطعمة - من طريق عبد الواحد بن زيد عن أسلم الكوفي عن مرة الطيب عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ . . . قلت: عزاه الزيعلي في تخريج الأحاديث والآثار (٤٠١/١) وكذلك الحافظ ابن حجر في تخريجات الكشاف - للحاكم من رواية زيد بن أرقم عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

ولم أجده من رواية زيد بن أرقم في الحاكم وإنما وجدناه من رواية مرة الطيب عن أبي بكر الصديق مرفوعاً. والله المستعان - وكم ترك الأول للآخر -

عمر بن الخطاب:

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٧/٧٣/١) - قال: حدثنا محمد بن الفضل السقطي ثنا عبد العزيز بن عبدالله الأوسي ثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال «من القينة . . . ذكره وفيه» ومن نبت لحمه على السحت فالنار أولى به».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤/٤) - وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك ضعفه جمهور الأئمة ونقل عن ابن معين في رواية: لا بأس به وضعفه في أخرى أ. هـ.

ابن عباس:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٩٤-٣٩٣/٤) (٥٥١٨).

والطبراني في الكبير (٢١٨-٢١٧/١١) (١١١٥٤) بلفظ «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت» وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٦/١٠) - وفيه حسين بن قيس وهو متروك.

قلت: وحسين بن قيس هذا يلقب بحنش بن قيس الرحي، قال فيه البخاري: أحادithe منكرة جداً ولا يكتب حديثه - راجع ترجمته في تهذيب الكمال (١٣٣٠/٤٦٥/٦) وذكره الطبراني من طريق آخر في الكبير (١١٤/١١) (١١٢١٦) - عن أبي شهاب - عن ابن محمد الجزري - وهو حمزة النصيبي - عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «من أعان بباطل ليدحض . . .» وفيه «ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به».

قال الهيثمي في المجمع (٢١٥-٢١٤/٥) «رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة ولم أعرفه، وبقي رجاله رجال الصحيح».

قلت: وأبو محمد الجزري هذا - الذي لم يعرفه الهيثمي - وقف عليه الحافظ وقال فيه - كما في =

(١) قوله «فقدم إليهم العراضة» في الصحاح: العراضة - بالضم -: ما يعرض المائر، أي يطعمه من الميرة. ويقال: اشتر عراضة لأهلك، أي هدية وشيئاً تحمله إليهم. (ع)

بينهم وبين ألا يحكم، وعن عطاء والنخعي والشعبي: أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام

= التقريب (١/١٩٩/٥٦٥) - متروك متهم بالوضع، من السابعة - وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/٧٦) (٣١١٢) وفيه إبراهيم بن زياد القرشي روى الخطيب عن يحيى بن معين أنه قال «لا أعرفه» وفي الميزان «قال البخاري: لا يصح إسناده، قلت: ولا يعرف من ذا؟؟»، وفيه أيضاً خُصِّيف، وهو صدوق سَمِعَ الحفظ، خلط بآخره *.

كعب بن عجرة:

أخرجه الترمذي (٢/٥١٣) - كتاب الصلاة - باب ما ذكر في فضل الصلاة - (٦١٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى. وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جداً - أ. هـ. وابن حبان في صحيحه (١٢/٣٧٨-٣٧٩) (٥٥٦٧).

والطبراني في «الكبير» (١٩/٣٦١).

جابر بن عبدالله:

أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧١٩) ومن طريقه أحمد (٣/٣٢١) والحاكم (٤/٤٢٢) عن معمر، عن عبدالله بن خُثَيْم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبدالله فذكره. فائدة هامة:

«تحرف في المطبوع من «مسند أحمد» سابط إلى ثابت»

وأخرجه أحمد (٣/٣٩٩) عن عفان، والبخاري (١٦٠٩) والحاكم (٣/٤٨٠٢٤٧٩) من طريق معلى بن أسد، كلاهما عن وهيب، دون قول الحاكم في حديثه «لا يدخل الجنة لحم نبت... وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢٥٠) وقال: رواه أحمد والبخاري، ورجالهما رجال الصحيح - أ. هـ.

عبد الرحمن بن سمرة:

أخرجه الحاكم (٤/١٢٦-١٢٧) من طريق أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا سعيد بن بشير بن قتادة عن الحسن بن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبي - ﷺ - فذكره وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: وتصحيح الحاكم فيه نظر.

فسعيد بن بشير وهو أبو سلمة الشامي.

ضعفه التسائي، وقال البخاري في تاريخه (٣/١٥٢٩) - يتكلمون في حفظه وهو يحتمل وقال ابن نمير: منكر الحديث ليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات. تهذيب الكمال (١٠/٣٥٤).

وقال الحافظ في التقريب (١/٢٩٢) (١٣٠) ضعيف.

عبدالله بن عمر:

أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٨٠) (١١٩٧٢).

من طريق ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن أبي الموالي عن عمر بن حمزة بن عبدالله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - ...

قلت: كذا وجدته في الطبري... والضواب عن عمر بن حمزة عن عبدالله بن عمر أن رسول الله... وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٤٠٠) لابن مردويه في تفسيره، وإبراهيم الحربي =

المسلمين، فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا، وقيل: هو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنَّ أَعْمَكُم يَتَّبِعُ بِمَا أَوَّلَ اللَّهُ﴾ وعند أبي حنيفة - رحمه الله -: إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام، وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئاً أقيم عليه الحد، وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم، يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود، ويقولون: إن النبي ﷺ رجم اليهوديين قبل نزول الجزية، ﴿فَكَانَ يَضْرُوكَ شَيْئًا﴾ لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم، كالجلد مكان الرجم. فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم، شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه، فأمن الله سره، ﴿يَأْتِي سَطًّا﴾: بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم، ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ﴾: تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به ويكتابه، مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْكَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به، ﴿وَمَا أَوْلَيْتَكَ

= في كتابه غريب الحديث. كلاهما من طريق ابن أبي الموالى عن عمر بن حمزة به وقال الحافظ: ورجاله ثقات إلا أن عمر لم يسمع من ابن عمر.

حذيفة:

أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٨١/٤).

من طريق النضر بن شميل ثنا محمد بن البزار - أخبرني كردوس - أن حذيفة خطبهم بالمدائن قال: فذكره وفيه «ليس يثبت لحم من سحت فيدخل الجنة».

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من رواية زيد بن أرقم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به». وأخرجه ابن عدي في ترجمة «عبد الواحد بن زععة» وضعف به، وفي الباب عن معمر عند الطبراني وابن عدي في أثناء حديث وفيه يزيد بن عبد الملك التوفلي. وهو ضعيف. وعن حذيفة أخرجه إسحاق بن راهويه من طريق كردوس قال «خطب حذيفة بالمدائن - فذكر الخطبة. وفيها الحديث، بلفظ «ليس لحم يثبت من سحت فيدخل الجنة» وأخرجه الطبراني في الأوسط من رواية أيوب بن سويد عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة بلفظ «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به» قال أبو حاتم في العلل: أخطأ أيوب بن سويد فيه. والضواب موقوف. وعن ابن عمر أخرجه الطبراني والحرثي في الغريب. وابن مردويه في الغريب من طريق عمر بن حمزة عنه. ورجاله ثقات إلا أن عمر لم يسمع من ابن عمر. وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والبيهقي من وجهين ضعيفين. وروى الترمذي من حديث كعب بن عجرة في حديث طويل في آخره «يا كعب بن عجرة، إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا وكانت النار أولى به»، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وسألت محمداً عنه فاستغربه. وقال أبو يعلى من وجه آخر عن كعب بن عجرة، وله شاهد فيه ابن حبان من رواية عبد الله بن خيثمة عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله «أن النبي ﷺ قال: يا كعب بن عجرة - فذكر مثله سواء» وأخرجه أحمد وإسحاق والبزار وأبو يعلى والحاكم من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن بن عبد الرحمن بن سمرة. فذكر مثل حديث كعب بن عجرة «أنه ﷺ خاطب به عبد الرحمن، وسعيد بن بشير ضعيف. انتهى.

بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾: بكتابهم كما يدعون. أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهمك بهم. فإن قلت: ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ ما موضعه من الإعراب؟ قلت: إما أن ينتصب حالاً من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبراً عنها كقولك: وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما ألا يكون له محل وتكون جملة مبينة، لأن عندهم ما يغيثهم عن التحكيم، كما تقول: عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب، فما تصنع بغيره؟ فإن قلت: لم أنثت التوراة؟ قلت: لكونها نظيرة لمومة ودودة ونحوها في كلام العرب. فإن قلت: علام عطف (ثم يتولون)؟ قلت: على (يحكمونك).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَسْتُرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق والعدل، ﴿وَنُورٌ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام، ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح^(١)، كالصفات الجارية على القديم

(١) قال محمود: «قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح... إلخ» قال أحمد: وإنما بعثه على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح أن الأنبياء لا يكونون إلا متصفين بها، فذكر النبوة يستلزم ذكرها. فمن ثم حملها على المدح. وفيه نظر: فإن المدح إنما يكون غالباً بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عن غيره. والإسلام أمر عام يتناول أمم الأنبياء ومتبعيهم كما يتناولهم. ألا ترى أنه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلاً مسلماً؛ فإن أقل متبعيه كذلك. فالوجه والله أعلم أن الصفة قد تذكر للعظم في نفسها ولتبوه بها إذا وصف بها عظيم القدر، كما يكون تنويهاً بقدر موصوفها. فالحاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة، قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفها. وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح في قوله تعالى ﴿وَمَكَرَتُهُ يَمْكُرُ النَّبِيُّونَ﴾ وأمثاله، تنويهاً بمقدار الصلاح؛ إذ جعل صفة الأنبياء وبعثاً لأحاديث الناس على الدأب في تحصيل صفته، وكذلك قيل في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِإِيمَانٍ تُعْظِمُهُمُ اللَّهُ لِأَنَّ فِيهِمُ حُرُوفًا مَكْرُومًا﴾. ولقد أحسن القائل في أوصاف الأشراف، والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام [من الكامل]:

فلئن مدحت محمداً بقصيدتي فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والإسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه =

سبحانه لا للتفصلة والتوضيح، وأريد بإجرائها التعريض باليهود، وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل منها، وقوله: ﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ مناد على ذلك، ﴿وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: والزهاد والعلماء من ولد هارون، الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود، ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: بما سألهم أنبيأؤهم حفظه من التوراة، أي: بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل، و (من) في (من كتاب الله) للتبيين، ﴿وَكَاثِرًا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾: رقباء لثلاثا يبدل، والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون - بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها، كما فعل رسول الله ﷺ من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم، وإيائه عليهم ما اشتوهه من الجلد، وكذلك حكم الربانيون والأحبار والمسلمون بسبب ما استحفظهم أنبيأؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه، وبسبب كونهم عليه شهداء، ويجوز أن يكون الضمير في (استحفظوا) للأنبياء والربانيين والأحبار جميعاً ويكون الاستحفاظ من الله، أي: كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء، ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّاسَ﴾ نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم^(١) فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء، ﴿وَلَا تَسْتَوُوا﴾: ولا تستبدلوا ولا تستعوضوا ﴿بِآيَاتِي﴾ وأحكامه، ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾: وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس، كما حرّف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة فهلكوا، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: مستهيناً به، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والظالمون والفاسقون؛ وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغيرها، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أَنَّ الكافرين والظالمين والفاسقين:

= ويجوز في حقه، إلا أن النبوة أشرف وأجل، لاشتمالها على عموم الإسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة، فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة في ذكر الإسلام بعد النبوة في سياق المدح، لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز، وفي كلام العرب الفصيح، وهو الترقى من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس. ألا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهبج في قوله [من المنسرح]:

شمس ضحاها هلال ليلتها
در تقاصيرها زبرجدها
فنزل عن الشمس إلى الهلال. وعن الدر إلى الزبرجد، في سياق المدح، فمضغت الألسن عرض بلاغته، ومزقت أديم صيغته. فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات، حتى يتعلّق فهمنا بأهداب علوها في البلاغة المعهود لها، والله الموفق للصواب.

(١) قوله «إدهانهم فيها» في الصحاح: المداينة - كالمصانعة. والإدهان مثله. (ع)

أهل الكتاب (٥٢٩)، وعنه: نعم القوم أنتم، ما كان من حلوفلكم، وما كان من مر فهو لأهل الكتاب، من جحد حكم الله كفر، ومن لم يحكم به وهو مقرّ فهو ظالم فاسق (٥٣٠)، وعن الشعبي: هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصرى (٥٣١)، وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم، وعن حذيفة: أنتم أشبه الأمم سمناً بيني إسرائيل: لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة^(١)، غير أنني لا أدري أنعبدون العجل أم لا؟ (٥٣٢).

٥٢٩ - قلت: لم أجد هذا اللفظ ولكن:

أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٤٨٥/٤) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال: إنما أنزل الله عزّ وجل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، و﴿الظالمون﴾، و﴿الفاسقون﴾ في اليهود خاصة. وهو جزء من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند (٢٤٦/١).

وأبو داود في سنّته (٢٩٩/٣) - كتاب الأفضية - باب في القاضي يخطيء (٣٥٧٦).

وابن جرير الطبري في تفسيره (١٢٠٤٢-٥٩٤/٤) ولكنه روى الحديث أنه عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن ربيعة مرسلًا، ليس فيه ذكر لابن عباس.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٠٨/٧). رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق، وبقيّة رجال أحمد ثقات.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٢) لأبي الشيخ وابن مردويه.

٥٣٠ - قلت: قوله «نعم القوم...» فهو لأهل الكتاب» أخرجه القاضي وكيع في أخبار القضاة (٤١/١) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فذكره - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٢) لابن المنذر.

وأما قوله «من جحد...»

فأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٩٧/٤) (١٢٠٦٨).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

٥٣١ - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٩٥/٤) من طرق عن عامر الشعبي قال: فذكره، وعبد الرزاق في تفسيره (١٩١/١) قال: نا الثوري عن زكريا عن الشعبي قال...

ومن طريق عبدالرزاق أخرجه القاضي وكيع في أخبار القضاة (٤٢/١).

وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره (١٠٣-١٠٢) (٢٤٨) عن جابر عن الشعبي... وعن زكريا عن الشعبي...

٥٣٢ - أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (١٠٢-١٠١) (٢٤٤) عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: قيل لحذيفة...

وعبد الرزاق في تفسيره (١٩١/١) من طريق حبيب بن أبي ثابت عن أبي البخري قال: سألت رجل حذيفة عن هؤلاء الآيات فذكره...

ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٩٣/٤) (١٢٠٣٥)، وكيع في أخبار =

(١) قوله «والقذة بالقذة» القذة، ريشة السهم اهـ. (ع)

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَدَّ
بِحُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

في مصحف أبي: «وأنزل الله على بني إسرائيل فيها» وفيه: «وأن الجروح قصاص»،
والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة، والرفع للعطف على محل (أن النفس)، لأن
المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس، إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا، وإما لأن معنى الجملة
التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتاب كما تقع عليه القراءة. تقول: كتبت
الحمد لله، وقرأت سورة أنزلناها، ولذلك قال الزجاج: لو قرئ: إن النفس بالنفس،
بالكسر؛ لكان صحيحاً. أو للاستئناف، والمعنى: فرضنا عليهم فيها، ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾
مأخوذة، ﴿بِالنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلها بغير حق^(١) ﴿و﴾ كذلك، ﴿وَالْعَيْنَ﴾ مفقودة،

== القضاة (٣٩/١)، وأخرجه أيضاً من طريق جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن
حذيفة...

ومن هذا الطريق أخرجه الحاكم في المستدرک (٣١٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٢) لابن أبي حاتم.

قلت: وكل الروايات التي ذكرناها أنفاً عن حذيفة - لم يذكر فيها قوله «غير آتي لا أدري أتعبدون
العجل أم لا».

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا من العطف على التوهم، إذ توهم في قوله «أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ»: النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَضَعْفَهُ بِأَنَّ العَطْفَ عَلَى التَّوهُمِ لَا يَنْقَاسُ. وَالزَّمْخَشَرِيُّ نَحَا إِلَى هَذَا
المعنى، ولكنه عَيَّرَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: «الرفع [للعطف] على محل «أَنَّ النَّفْسَ» لأن المعنى:
«وكتبنا عليهم النفس بالنفس: إمَّا لإجراء «كتبنا» «مُجَرَّراً قُلْنَا، وَإِمَّا أَنْ مَعْنَى الجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ «النَّفْسُ
بِالنَّفْسِ» مِمَّا يَظَعُّ عَلَيْهِ الكُتْبُ كَمَا تَقَعُ عَلَيْهِ القِرَاءَةُ تَقُولُ: كُتِبَتْ: الحَمْدُ لله، وَقُرِئَتْ: سُوْرَةُ
أَنْزَلْنَاهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ الزَّجَّاجُ: «لَوْ قُرِئَ: إِنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ بِالكَسْرِ لَكَانَ صَحِيحاً». قَالَ الشَّيْخُ:
«هَذَا هُوَ [الوَجْهَ] الثَّانِي مِنْ تَوْجِيهِ أَبِي عَلِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ عَنِ المِصْطَلَحِ حَيْثُ جَعَلَهُ مِنَ العَطْفِ
عَلَى المَحَلِّ وَليس منه، لِأَنَّ العَطْفَ عَلَى المَحَلِّ هُوَ العَطْفُ عَلَى المَوْضِعِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ لَيْسَ هَذَا
منه، أَلَا تَرَى أَنَا لَا نَقُولُ: «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» فِي مَحَلِّ رَفْعٍ لِأَنَّ طَالِبَهُ مَفْقُودٌ، بَلِ «أَنَّ» وَمَا فِي
حَيِّزِهَا بِتَأْوِيلِ مَصْدَرٍ لَفْظُهُ وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ، إِذِ التَّقْدِيرُ: كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَخَذَ النَّفْسَ». قُلْتُ:
وَالزَّمْخَشَرِيُّ لَمْ يَعْني أَنَّ «أَنَّ» وَمَا فِي حَيِّزِهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ نَعَطَفَ عَلَيْهَا المَرْفُوعَ حَتَّى يُلْزِمَهُ الشَّيْخُ
بِأَنَّ لَفْظَهَا وَمَحَلُّهَا نَصَبٌ، إِنَّمَا عَنَى أَنَّ اسْمَهَا مَحَلُّهُ الرِّفْعُ قَبْلَ دُخُولِهَا، فَوَاعَى العَطْفَ عَلَيْهِ كَمَا
رَاعَاهُ فِي اسْمِ «إِنَّ» المَكْسُورَةَ. وَهَذَا الرُّدُّ لَيْسَ لِلشَّيْخِ، بَلِ سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَبُو البَقَاءِ فَأَخَذَهُ مِنْهُ. قَالَ أَبُو
البَقَاءِ: «وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفاً عَلَى «أَنَّ» وَمَا عَمِلْتُ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا وَمَا عَمِلْتُ فِيهِ فِي مَوْضِعِ
نَصَبٍ» انتهى. الدر المصون.

﴿ بِالْمَعِينِ وَالْأَنْفِ ﴾ مجدوع، ﴿ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنِ ﴾ مصلومة، ﴿ بِالْأَذُنِ وَالسِّنِّ ﴾ مقلوعة، ﴿ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ ﴾: ذات قصاص، وهو المقاصة، ومعناه: ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت .، ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ ﴾ من أصحاب الحق، ﴿ بِهِ ﴾: بالقصاص وعفا عنه، ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ (٥٣٣) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته، وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به (٥٣٤)، وقيل: فهو كفارة للجاني، إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه، وفي قراءة أبي: «فهو كفارته له». يعني فالتصدق بكفارته له أي: الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها، وهو تعظيم لما فعل، كقوله تعالى ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] وترغيب في العفو.

﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يَعْنِي أَبِي مَرْثَمٍ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُرَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قفيته مثل عقبته، إذا اتبعته ثم يقال: قفيته بفلان وعقبته به، فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء، فإن قلت: فأين المفعول الأول في الآية؟ قلت: هو محذوف والظرف الذي هو ﴿ عَلَى آثَرِهِمْ ﴾ كالسأذ مسده؛ لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه، والضمير في

٥٣٣ - قلت: لم أجد بهذا اللفظ والمعنى وإنما ثبت عن ابن عباس خلاف ذلك.

أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٤٩/١٤) (٧٥٨٧٥٧) من طريق هشيم قال نا حصين عن حماد بن عمار عن ابن عباس - في قوله عز وجل ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ قال: كفارة للجراح. وسنده ضعيف لإبهام شيخ حصين، وأخرج ابن جرير في تفسيره (٦٠١١٤) (٩١ - ١٢) من طريق يحيى بن آدم عن سفيان، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره وزاد فيه «وأجر الذي أصيب على الله».

قلت: وعطاء بن السائب وإن كان قد اختلط، فإن الراوي عنه هنا هو سفيان الثوري، وهو بمن روى عنه قبل الاختلاط.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٢) وعزاه لـ «عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ».

٥٣٤ - أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص ٢٤٦/١٠٢) عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن الهيثم بن الأسود عن عبد الله بن عمرو...

والطبري في تفسيره (٦٠٠/٤) من طرق عن قيس بن مسلم به.

والبيهقي في السنن الكبرى (٥٤/٨) - كتاب الجنائيات - باب ما جاء في الترغيب في العفو عن القصاص.

«آثارهم» للنبيين في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، وقرأ الحسن: «الأنجيل» بفتح الهمزة؛ فإن صح عنه فلائه أعجمي خرج لعجمته عن زناات العربية، كما خرج هاويل وأجر، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على محل، ﴿فِيهِ هُدًى﴾ ومحلّه النصب على الحال، ﴿وَهَدَى مَوْعِظَةً﴾ يجوز أن ينتصبا على الحال. كقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ وأن ينتصبا مفعولاً لهما، كقوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾: كأنه قيل: وللهدى والموعظة آتيانه الإنجيل، وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن قلت: فإن نظمت ﴿وَهَدَى وَمَوْعِظَةً﴾ في سلك مصدقاً، فما تصنع بقوله: «وليحكم» قلت: اصنع به ما صنعت به «هدى وموعظة» حين جعلتهما مفعولاً لهما، فأقدر: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيانه إياه، وقرىء: «وليحكم» على لفظ الأمر بمعنى: وقلنا: ليحكم، وروي في قراءة أبي: «وأن ليحكم»، بزيادة (أن) مع الأمر على أن (أن) موصولة بالأمر، كقولك: أمرته بأن قم كأنه قيل: وآتيانه الأنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل، وقيل: إن عيسى - عليه السلام - كان متعبداً بما في التوراة من الأحكام؛ لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة، وظاهر قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ يرد ذلك، وكذلك قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وإن ساغ لقاتل أن يقول: معناه: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَوُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

فإن قلت: أي فرق بين التعريفين في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وقوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾؟ قلت الأول: تعريف العهد، لأنه عنى به القرآن، والثاني: تعريف الجنس، لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة: ويجوز أن يقال: هو للعهد؛ لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق، وإنما أريد نوع معلوم منه، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن، ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: ورقبياً على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات، وقرىء: «مهيماً عليه» بفتح الميم، أي: هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل، كما قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] والذي هيمن الله عليه عز وجل أو الحفاظ في كل بلد، لو حُرِفَ حَرْفٌ منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد، ولا شمازوا رادين ومنكرين. ضمن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ معنى ولا تنحرف؛ فلذلك عدى به «عن» كأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس،

﴿شِرْعَةً﴾: شريعة، وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين، ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾: وطريقاً واضحاً في الدين تجرون عليه، وقيل: هذا دليل على أننا غير متعبدین بشرائع من قبلنا، ﴿لَجَمَلِكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعة متفقة على شريعة واحدة، أو ذوي أمة واحدة أي: دين واحد لا اختلاف فيه، ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها مدعين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبه وتفرضون في العمل؟، ﴿فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها وتسبقوا نحوها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات، ﴿فِيُنَبِّئُكُمْ﴾: فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محققكم ومبطلكم، وعاملكم ومفرضكم في العمل.

﴿وَأَن أٰحْكَمَ بَيْنَهُم مِّمَّا أُنزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

فإن قلت: ﴿وَأَن أٰحْكَمَ بَيْنَهُم﴾ معطوف على ماذا؟ قلت: على (الكتاب) في قوله: ﴿وَأَزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كأنه قيل: وأنزلنا إليك أن احكم على أن (أن) وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال، ويجوز أن يكون معطوفاً على (بالحق) أي: أنزلناه بالحق وبأن احكم، ﴿أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أن يضلوك عنه ويستزلوك، وذلك: أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحيار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحيار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فننتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: (٥٣٥) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾

٥٣٥ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦١٤/٤) (١٢١٥٦).

والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٣/٢).

وابن هشام في سيرته (٢١٢-٢١٣) (٦٥٧).

كلهم من طريق محمد بن إسحاق، قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس قال: ...
قلت: ومحمد بن أبي محمد - هذا - قال الحافظ في التقریب (٢٠٥/٢) (٦٧٩)، مدني، مجهول من السادسة، تفرد عنه ابن إسحاق.
وقال الذهبي في الميزان (٤ الترجمة ٨١٢٩)، لا يعرف.

ذُنُوبِهِمْ ﴿﴾: يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع، ﴿يَبْتَغِ ذُنُوبَهُمْ﴾ موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوباً جمّة كثيرة العدد، وأنّ هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها، وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه، ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لييد [من الكامل]:

.....
أَوْ يَزْتَبِطُ بَعْضَ النُّفُوسِ جِمَامُهَا^(١)

أراد نفسه، وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام، كأنه قال: نفساً كبيرة، ونفساً أي نفس، فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية، فكذلك إذا صرح بالبعض ﴿لِفَاسِقُونَ﴾ لمتمرّدون في الكفر معتدون فيه، يعني أنّ التولي عن حكم الله من التمرّد العظيم والاعتداء في الكفر.

﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما: أنّ قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى، وروي: أنّ رسول الله ﷺ قال لهم: «القتلى بواء» فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت (٥٣٦)، والثاني: أن يكون

٥٣٦ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٥/ ٤٦٠) - كتاب الديات - باب إنّ المسلمين تتكافأ دماؤهم (٢٧٩٧٣) - من طريق الشعبي قال: كان بين حيين من العرب قتال... فذكر قصة فيها فارتفعوا إلى النبي - ﷺ - فقال - «القتل بواء» أي سواء.
وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: لم أجده هكذا، وفي ابن أبي شيبة من طريق الشعبي قال: كان بين حيين من العرب قتال - فذكر قصة فيها: فارتفعوا إلى النبي ﷺ فقال: «القتلى بواء» أي سواء. انتهى.

(١) تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها للبيد بن ربيعة من معلقته. يقول: أنا كثير ترك الأمكنة إذا لم أرض الإقامة بها. أو يرتبط ويحتسب بعض النفوس، يعني نفسه «حمامها» أي موتها المقدر لها فإذا رضيتها أو احتسبني الموت فيها فكيف أتركها؟ فقوله «يرتبط» بالجزم، عطف على المجزوم قبله. وقيل «أو» بمعنى «إلا» لكن كان حقه للنصب حيثئذ. ولعله سكن للضرورة. وكما أن التنوين يفيد معنى التعظيم، فكذلك كل ما فيه إبهام كالبعضية هنا، فعبر عن نفسه ببعض النفوس دلالة على التعظيم. بل ربما ادعى أنها كل النفوس مبالغة.

ينظر البيت في ديوانه ص ٣١٣، والخصائص ٧٤/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٧٧ وشرح شواهد الشافية ص ٤١٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥١، ومجالس ثعلب ص ٦٣، ٣٤٦، ٤٢٧، والمحتسب ١/١١١، خزائن الأدب ٧/٣٤٩، والخصائص ٢/٣١٧، ٣٤١، والدر المصون ١/١١٠، فتح القدير ١/٤٢١.

تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى وعن الحسن: هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان، وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعد ولده على بعض، فقرأ هذه الآية، وقرأ: «تبغون»، بالثاء والياء، وقرأ السلمي: «أفحكم الجاهلية يبغون»، برفع الحكم على الابتداء، وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في ﴿أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٣١] وعن الصفة في الناس رجلاً: رجل أهنت، ورجل أكرمت، وعن الحال في (مررت بهند يضرب زيد) وقرأ قتادة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران، أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفهمهم أن يكون محمد خاتم النبيين حكماً كأولئك الحكام. اللام في قوله: ﴿لَقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ﴾ للبيان كاللام في (هيت لك) أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يؤقنون، فإنهم الذين يتقنون ألا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَذَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ فَتَنَىٰ أَنْ نُصِيبَنَا دَائِرَةً فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: إنما يوالي بعضهم بعضاً لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دینه خلاف دينهم ولموالاتهم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تراءى ناراهما» (٥٣٧) ومنه

٥٣٧ - روي هذا الحديث - من حديث جرير بن عبدالله: ومن حديث خالد بن الوليد.

(أ) أما حديث جرير بن عبدالله:

فأخرجه أبو داود (٤٥/٣) - كتاب الجهاد - باب التهي عن قتل من اعتصم بالنجود - (٢٦٤٥)،
والترمذي (١٥٥/٤) - كتاب السير (٢٢) - باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (٤٢)
(١٦٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٣/٢) (٢٢٦٣) من طريق أبي معاوية عن
إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال: «بعث رسول الله ﷺ -
سرية إلى خثعم...».

قول عمر - رضي الله عنه - لأبي موسى في كتابه النصراني: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، وروي: أنه قال له أبو موسى: لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، يعني هب أنه قد مات، فما كنت تكون صانعاً حينئذ فاصنع الساعة، واستغن عنه بغيره (٥٣٨)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاتة الكفر^(١) يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتاً لهم، ﴿يُسْكِرُونَ فِيهِمْ﴾: ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتدرون بأنهم لا يأمنون أن

= وأخرجه أيضاً الترمذي (١٥٥/٤) (١٦٠٥) من طريق عبدة، والنسائي (٣٦/٨) - كتاب القسامة (٤٥) - باب القود بغير حديدة (٤٧٨٠)، من طريق أبي خالد، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم مرسلًا.

وقال الترمذي: وهذا أصح، وأكثر أصحاب إسماعيل عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله - ﷺ - . . . ولم يذكروا فيه عن جرير، ورواه حماد بن سلمة عن الحجاج بن أرطاة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس عن جرير مثل حديث أبي معاوية. قال: وسمعت محمداً يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي - ﷺ - مرسلٌ

قلت: ورواية الحجاج بن أرطاة:

أخرجها البيهقي في الكبرى (١٢/٩) مختصراً بلفظ «من أقام مع المشركين، فقد برئت منه الذمة»، وأخرجها أيضاً في شعب الإيمان (٣٩/٧) (٩٣٧٣) (٣٩٧٤) ولكن الحجاج مدلس، وقد عنعنه فلا فائدة من متابعتها - والله المستعان -

وأخرجه أيضاً الشافعي في مسنده (١٠٢/٢) (٣٤٠) - مرسلًا -

(ب) وأما حديث خالد بن الوليد:

فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤/٤) (٣٨٣٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٦/٥): ورجاله ثقات، وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث جرير «أن رسول الله - ﷺ - بعث سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس بالسجود - الحديث، وفيه: وقال «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: ولم؟ قال: لا تراءى نارهما» وصله أبو معاوية عن إسماعيل عن قيس عنه. وأرسله غيره من أصحاب إسماعيل كعبدة بن سليمان ووكيع وهشيم ومروان وتابعه حجاج بن أرطاة عن إسماعيل موصولاً. وحجاج ضعيف ورتج البخاري وغيره المرسل. وخالف الجميع حفص بن غياث فرواه عن إسماعيل عن قيس عن خالد بن الوليد أخرجه الطبراني. انتهى.

٥٣٨ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٣/٧) - الباب السادس والستين - في مباحة الكفار والمفسدين - (٩٣٨٤)، وأخرجه أيضاً في الكبرى (١٢٧/١٠) - كتاب آداب القاضي - باب لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ كاتباً ذمياً - «دون ما في آخره».

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٢) لابن أبي حاتم:

وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه البيهقي في أدب القاضي من السنن الكبير مطولاً دون ما في آخره، فليُنظر. انتهى.

(١) قوله «بموالاتة الكفر» لعله الكفرة. (ع)

تصبيهم دائرة من دوائر الزمان، أي: صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله ﷺ: إن لي موالي من يهود كثيراً عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع (٥٣٩). ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: يقطع شأفة اليهود^(١) ويجلبهم عن بلادهم، فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم: وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله ﷺ ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر، وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء، وقيل: أو أمر من عنده، أو أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم، وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب. فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرء بالنصب عطفاً على «أن يأتي» وبالرفع على أنه كلام مبتدأ، أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت. وقرء: «يقول»: بغير واو، وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا. فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حالهم واغتراباً بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص، ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾ لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار، وإما أن يقوله لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة. كما حكى الله عنهم ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ [الحشر: ١١]، ﴿حَظَّتْ أَعْيُنُهُمْ﴾: من جملة قول المؤمنين، أي: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في

٥٣٩ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦١٥/٤) (١٢١٦٢).

والبيهقي في دلائل النبوة (١٧٤-١٧٥/٣) - باب غزوة بني قينقاع وابن هشام في سيرته (٤٥٨/٢) (١٠٣٦).

وابن أبي شيبه في مصنفه (٣٩٢-٣٩١/٦) - مختصراً - في كتاب الفضائل وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر - كما في الدر المنثور (٥١٥/٢)، وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:

أخرجه الطبري من رواية عطية بن سعيد العوفي قال: جاء رجل يقال له عبادة بن الصامت - فذكره مرسلًا وأتم منه ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي شيبه. وله طرق أخرى في المغازي لابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ فذكر نحوه. انتهى.

(١) قوله «يقطع شأفة اليهود» في الصحاح «الشأفة» فرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، ففرض بها المثل في الاستئصال اهـ باختصار. (ع)

رأى أعين الناس، وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيباً من سوء حالهم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْرٍ يُحِبُّهُمْ وَيُجْزِيهِمْ أَدْخَلَ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفْرِيِّنَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

وقرىء: «من يرتد» ومن «يرتدد»، وهو في الإمام بدالين، وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها، وقيل: بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد رسول الله ﷺ: بنو مدلج، ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله ﷺ، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله ﷺ بقتله ليلة قتل، فسر المسلمون وقبض رسول الله ﷺ من الغد، وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول^(١). وبنو حنيفة، قوم.....

(١) قوله: إن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعة على عهد أبي بكر رضي الله عنه وواحدة على عهد عمر. فالثي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي. قلت: ليس قوله الأسود المذكور من بني مدلج، بل بنو مدلج قوم من بني كنانة بن مضر إخوة قريش والأسود المذكور كان باليمن. وقومه بنو عنس - بفتح العين المهملة وسكون النون بعدها سين مهملة. قال الزمخشري كان الأسود المذكور كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي فقتله. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل. فسر المسلمون بذلك. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في آخر شهر ربيع الأول. قلت: وفي هذا الكلام من التخليط غير شيء فإن قوله: استولى على بلاد اليمن وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظاهره يقتضي ألا يبقى منهم هناك أحد وليس الأمر كذلك، بل بقى منهم كل ما كان عليه جماعة منهم من المهاجرين ابن أبي أمية ومعه جميع السواحل. وكان باليمن أيضاً معاذ بن جبل وغيره من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في سواحل اليمن. وإنما استولى العنسي على صنعاء. وبعض البلاد الجبالية. وقد نقض الزمخشري كلامه بقوله: فإنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن. ولكن الجمع بين كلاميه: بأن مراده، إخراج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حاربهم فيكون المراد إخراج بعضهم لا جميعهم. وقوله وقبض رسول الله ﷺ من الغد، أي صبيحة إخباره بقتل الأسود. وفيه نظر وسيأتي وجهه. وقوله: في آخر شهر ربيع الأول: ليس بصحيح فإنه صلى الله عليه وسلم مات في أول شهر ربيع الأول. وقيل: في ثامن. وقيل: في ثاني عشر. وسيأتي بيان الاختلاف في وقت المجيء برأس الأسود العنسي. وقصة الأسود العنسي قد أخرجها مطولة جميع من صنف في الردة كابن إسحاق والواقدي وسيف بن عمر. وسيمة بن =

.....مسيلمة^(١) تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ: من

الفرات. وأخرجها الحاكم في الإكليل والبيهقي في الدلائل، قال الواقدي: اسم الأسود ذو الخمار. وقال غيره: اسمه عهلة ولقبه ذو الخمار، لأنه كان يلقي على وجهه قناعاً ويهمهم. وكان له شيطانان أحدهما سحيق والآخر بشقيق، قال الواقدي: وملك الأسود نجران وأقام بها ستة أشهر ثم خرج في ستمانة ممن تبعه إلى صنعاء فحاصر الأساورة منهم باذان، وفيروز ودادويه في آخرين. وكانوا أسلموا. وأرسلوا بإسلامهم فروة بن مسيك المرادي. فاقتل الفريقان حتى غلب الأسود فقتل منهم طائفة. وخير طائفة بين أن يخرجوا من صنعاء إلى بند آخر ويقبوا بها ويضرب عليهم الخراج ويصيروا عبيداً له. واصطفى الأسود المرزبانة امرأة باذان لنفسه. وكانت جميلة. وكان يشرب الخمر ويقع عليها ولا يغتسل ولا يصلي، فكرهته المرزبانة وراست الأساورة وفيهم فيروز، وواعدتهم البستان في الوقت الذي يسكر فيه الأسود. فدخل عليه فيروز ودادويه وقيس بن مكشوح وهو سكران. فقالت المرزبانة: لفيروز وهو أحدثهم سناً: دونك الرجل. قال فيروز: كنت قد أنسيت سيفي من الدهش. فوقعت على الأسود فخنقته حتى حولت وجهه إلى قفاه. ثم دخل صاحباه فحزوا رأسه. واجتمع الأساورة بباب المدينة يقتلون أصحاب العنسي. فذكر تمام القصة، إنما اختصرناها. وروى النسائي من حديث عبدالله بن فيروز الديلمي عن أبيه قال «أنت النبي صلى الله عليه وسلم برأس الأسود العنسي» قال عبدالحق لا يصح في هذا الباب شيء. وتعبه ابن القطان بأن إسناد النسائي صحيح. ولا يعارضه ما جاء إن الخبر يقتله إنما جاء إثر موت النبي صلى الله عليه وسلم لأن رواية النسائي ليس فيها التصريح أنه صادف النبي صلى الله عليه وسلم. نعم في رواية الطبري زيادة تدل على ذلك.

(١) قول الزمخشري: وبنو حنيفة باليمامة. ورئيسهم مسيلمة. روى الواقدي من طريق حبيب بن عمير الأنصاري قال «كان مسيلمة بن حبيب قد ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقومه يا معشر بني حنيفة ما الذي جعل قريشاً أحق بالنبوة منكم وليسوا بأكثر منكم ولا أعد، والله إن بلادكم لأوسع من بلادهم، وإن جبريل ينزل علي كما ينزل على محمد وشهد له الدجال بن عنوة أن محمداً أشرك مسيلمة في الأمر، فسأله وشهد له. وقرأ عليهم مسيلمة قرآناً يزعمه. سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحلي. فأخرج منها نسمة تسمى من بين أحشا وسلا فمنهم من يدس في الثرى ومنهم يعيش يحيى. إلى أجل ومنتهى. والله يعلم السر وأخفى. ولا يخفى عليه أمر الآخرة والأولى. فبايعه أهل اليمامة فلما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد الفتح قدم مسيلمة في وفد بني حنيفة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده - تبعته. فأتى رسول الله - ﷺ - فسأله أن يشركه في الأمر، وأن يجعل له الخلافة بعده فأبى. ثم إن وفد بني حنيفة أظهروا الإسلام. وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل جوائز الوفود ورجع مسيلمة معهم مظهراً النبوة. وشهد له الدجال بن عنوة أن محمداً أشركه في الأمر. وتمادى مسيلمة على ضلاله. إلى خلافة أبي بكر فكثرت تابعوه. فجهز إليه أبو بكر في جمع من الصحابة، فالتقوا باليمامة فاقتتلوا قتالاً شديداً من طلوع الشمس إلى العصر، وكثر القتل والجراح في الفريقين ووقعت النبوة في المسلمين. ثم تراجع المهاجرون والأنصار. فدفعوا بني حنيفة دفعة عظيمة حتى ألجئهم إلى حديقة فيها مسيلمة فاعتصموا بها. وأغلقت الباب فحاصروهم المسلمون. وقال لهم أبو دجاجة ألقوا بي على المدينة حتى أضع إلى أعلى الحديقة ففعلوا فهبط عليهم فقتل منهم حين فتح باب الحديقة وقتل هو وولج المسلمون الحديقة. فقتلوه حين انتهى القتال إلى مسيلمة فطعنه عبدالله بن يزيد الأنصاري. وزرقه وحشي بن حرب فاشتركا في قتله.

مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله - أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك . فأجاب عليه الصلاة والسلام: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» فحاربه أبو بكر - رضي الله عنه - بجنود المسلمين، وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، وشَرَّ الناس في الإسلام، أراد في جاهليتي وإسلامي، وبنو أسد: قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله ﷺ خالداً^(١) فانهمز بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه، وسبع في عهد أبي بكر - رضي الله عنه -: فزاره قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرّة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل، وبنو يربوع، قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوّجت نفسها مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري [من البسيط]:

أَمْتُ سَجَاحٍ وَوَالَاهَا مُسَيْلِمَةً كَذَابَةٌ فِي بَنِي الدُّنْيَا وَكَذَابُ^(٢)

وكندة: قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد، وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر - رضي الله عنه -، وفرقة واحدة في عهد عمر - رضي الله عنه -: غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة^(٣) وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه، ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ قيل: لما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: «قوم هذا» (٥٤٠) وقيل: هم ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة

٥٤٠ - أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/٨٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٢٤) (١٢١٩٧)،

والحاكم في المستدرک (٢/٣١٣). كتاب التفسير.

وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

كلهم من طريق شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت عياض الأشعري يقول: ...

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٣٥١) من طريق عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن

حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى قال: ...

قلت: وعياض الأشعري، مختلف في صحبته،

فقال عبد الحمّن بن أبي حاتم (٦/ الترجمة ٢٢٧٦) عن أبيه: عياض الأشعري، روي عن النبي -

ﷺ - مرسلأً ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وهو تابعي. روي عن أبي موسى عن النبي

- ﷺ - . ا. هـ.

(١) قوله «خالدأ» في أبي السعود «أبا بكر» اهـ. (ع)

(٢) لأبي العلاء المعري. وأمت - بالتشديد -: صارت إماماً في بني حنيفة وادعت النبوة. ويروى بالمد والتخفيف، أي صارت أيمأً غير متزوجة وهي بنت المنذر. ووافاها، أي وافقها مسيلمة، فإنه تزوجها وكان مدعياً للنبوة أيضاً، وبعد قتله ثابت وحسن إسلامها.

(٣) قوله «نصرته اللطمة» لعلها اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب وبز التجار، فحرر.

آلاف من أفناء الناس^(١) جاهدوا يوم القادسية، وقيل: هم الأنصار، وقيل: سئل رسول الله ﷺ عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: «هذا وذووه» ثم قال: لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لئله رجال من أبناء فارس (٥٤١)، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: محبة العباد لربهم طاعته

= والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٨/٢) لابن أبي شيبه في مسنده وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه. وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبه وإسحق والحاكم والطبراني. والطبري من طريق سماك بن حرب. عن عياض الأشعري. قال: لما نزلت هذه الآية فذكره. ورواه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن سماك عن عياض عن أبي موسى قال: تلوت عند النبي ﷺ ﴿مَنْ يَأْتِ اللَّهَ بِقَوْمٍ﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ قومك يا أبا موسى. أهل اليمن. انتهى.

٥٤١ - أخرجه بهذا اللفظ «أبو يعلى» في مسنده (٢٧/٣) (١٤٣٨) من طريق سفیان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن قيس بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «لو كان... دون قوله «هذا وذووه» وأخرجه موقوفاً أيضاً على قيس بن سعد (٢٣/٣) وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٤/١٨) (٩٠٠، ٩٠١).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٨-٦٧/١٠) وقال «رواه أبو يعلى والبزار والطبراني ورجالهم رجال الصحيح».

قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة:

أخرجه البخاري (٦٣٤/٩) - كتاب التفسير (٦٥) - باب سورة الجمعة (٦٢)، (٤٨٩٧) ومسلم (٤/١٩٧٢) - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) - باب فضل فارس (٥٩) (٢٣١/٢٥٤٦) والترمذي (٥/٤١٣) - كتاب تفسير القرآن - سورة الجمعة (٣٣١٠) - «وطريقه فيه ضعف» - من طريق أبي الغيث عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ...

ولفظه «لو كان الإيمان عند الثريا لئله رجال من هؤلاء يعني سلمان الفارسي».

وصح الحديث بلفظ آخر، وهو «لو كان الذين عند الثريا لذهب به رجل من فارس...».

أخرجه مسلم (٢٣٠/٢٥٤٦) وأحمد في المسند (٣٠٩-٣٠٨/٢) من طريق زيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً.

وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة وفيه سبب وروده وهو ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/٣٣٠) (٣١٤٤٤) من طريق مسلم بن خالد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية...

قلت: وهذا إسناد فيه نظر - لضعف مسلم بن خالد:

قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي، ليس بالقوي.

وقال أبو حاتم، ليس بذلك القوي، منكر الحديث - راجع تهذيب الكمال (٥١٢/٢٧) ولكن - لمسلم بن خالد - متابعات.

الأولى: شيخ من أهل المدينة.

(١) قوله «من أفناء الناس» في الصحاح «فناء الدار» ما امتد من جوانبها. والجمع أفنية. ويقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. (ع)

وابتغاء مرضاته، وألاً يفعلوا ما يوجب سخطه^(١) وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يشيهم أحسن

= أخرج الترمذي (٣٨٤٣٨٣/٥) (٣٢٦٠) وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال.

الثانية: عبد العزيز بن محمد.

أخرجه الحاكم (٤٥٨/٢) - وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقره الذهبي وقال
الحافظ بن حجر في الكشف:

هكذا رواه. وهو وهم منه فإن هذا الكلام إنما ورد في آية الجمعة من طريق أبي الغيث عن أبي
هريرة وهو متفق عليه. وفي آية القتال رواه الترمذي من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن
أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

(١) قال محمود: «محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته. وألاً يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه.

ومحبة الله لعباده أن يشيهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويشي عليهم ويرضى عنهم. وأما ما
يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند
أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من
المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله. بأبيات الغزل المقولة
في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى يوم ذلك الطور، فتعالى
الله عنه علواً كبيراً. ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحيهم كذلك يحبون ذاته، فإن الهاء راجعة إلى
الذات دون التعوت والصفات» انتهى كلامه. قال أحمد لا شك أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له
على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز لا يعدل إليه عن
الحقيقة إلا بعد تعذرها، فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى
أم لا، إذ المحبة لغة: ميل المتصف بها إلى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك
بالحس، كلذة الذوق في المظموم، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة، ولذة الشم في
الروائح العطرة، ولذة السمع في النغمات الحسنة، وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة
والعلوم وما يجري مجراها، فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون
الحس، ثم تفاوتت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها، فليس اللذة برياسة الإنسان على
أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة. وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث، فلذات
العلوم أيضاً متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق،
فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكمالته تكون أعظم، والمحبة المنبعثة عنها تكون
أمكن. وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات، فقد تحصل من ذلك أن محبة
العبد ممكنة، بل واقعة من كل مؤمن، فهي من لوازم الإيمان وشروطه، والناس فيها متفاوتون
بحسب تفاوت إيمانهم. وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة، وكانت
الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها. ألا ترى إلى الأعرابي الذي سأل عن الساعة فقال
له النبي عليه الصلاة والسلام «ما أعددت لها» قال: ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله
ورسوله. فقال عليه الصلاة والسلام «أنت مع من أحببت» فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من
المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات، لأن الأعرابي نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة
والسلام على ذلك، ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة، فالمحبة في اللغة إذا
تأكدت سميت عشقاً، فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات
في ذكره وطاعته، فلا يمنع أن تسمى محبته عشقاً: إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة. وما أردت =

الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويشني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقدُه أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً، وهم الفرقة المفتعلة المتفعله من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق، والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عند ذلك الطور؟! فتعالى الله عنه علواً كبيراً، ومن كلماتهم: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النوع والصفات، ومنها: الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة. فإن قلت: أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط؟ قلت: هو محذوف معناه: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم، أو ما أشبه ذلك، ﴿إِذْ لَوْ﴾: جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذلل، ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غبى عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة. فإن قلت: هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقرئ: أذلة وأعزة بالنصب على الحال، ﴿وَلَا يَخَافُونَ يُومَةً لَّآيِمًا﴾ يحتمل أن تكون الواو للحال، على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين، فإنهم كانوا موالين لليهود - لعنت -

== بهذا الفصل إلا تخليص الحق والانتصاب لأجاء الله عز وجل من الزمخشري، فإنه خلط في كلامه الغث بالسمين، فأطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحر منه، ونسب إليهم ما لا يعاب بمرتبه، ولا يعد في البهائم فضلاً عن خواص البشر، ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله، ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المسمين به حقيقة، أن يواخذ الصالح بالطالح ﴿وَلَا يُؤْزِرُ وَآزِرَةٌ وَرِزٌّ أَخْرَى﴾ وهذا كما أن علماء الدين قد انتسب إليهم قوم سمو أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، ثم خلعوا الريقة فجددوا صفات الله تعالى وقضاء وقدره وقالوا: إن الأمر أنف، وجعلوا لأنفسهم شركاً في المخلوقات وفعلوا وصنعوا، فلا يسوغ لنا أن نقدح في علماء أصول الدين مطلقاً؛ لأنهم قد انتسب إليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بنعتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا شك أن في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله إلا بمعنى طاعته له لا غير، وهو الذي يحاز إليه الزمخشري. وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه. والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين إلى أنهم جهلوا فأنكروا، كما أن الصبي ينكر على من يعتقد أن وراء اللعب لذة من جماع أو غيره، والمنهمك في الشهوات والغرام بالنساء يظن أن ليس وراء ذلك لذة أو رياسة أو جاه أو شبه ذلك، وكل طائفة تسحر بمن فوقها وتعتقد أنهم مشغولون في غير شيء. قال الغزالي: والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك: إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون.

فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئاً مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط، وأن تكون للعطف، على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله، وأنهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف، مضوا فيه كالمسامير المحمأة، لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم، يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم، واللومة: المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام، و﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة، ﴿يُؤْتِيهِ﴾: يوفق له، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: ممن يعلم أن له لطفاً، ﴿وَاسِعٌ﴾ كثير الفواضل والألطف، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو من أهلها.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومعنى (إنما) وجوب اختصاصهم بالموالاة. فإن قلت: قد ذكرت جماعة فهلا قيل: إنما أولياؤكم؟ قلت: أصل الكلام: إنما وليكم الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله ﷺ والمؤمنين على سبيل التبعية، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا، لم يكن في الكلام أصل وتبعية وفي قراءة عبد الله: «إنما مولاكم». فإن قلت: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ ما محله؟ قلت: الرفع على البدل من «الذين آمنوا» أو على: هم الذين يقيمون. أو النصب على المدح، وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقاً، أو اطأت قلوبهم ألتستهم إلا أنهم مفرطون في العمل، ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: الواو فيه للحال، أي: يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا، وقيل: هو حال من (يؤتون الزكاة)، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنما نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه (٥٤٢). كأنه كان مرجأ^(١) في خنصره، فلم يتكلف

٥٤٢ - قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ولابن مردويه من رواية سفيان الثوري عن ابن سنان عن الضحاک عن ابن عباس قال: «كان علي قائماً يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت» وروى الحاكم في علوم الحديث من رواية عيسى بن عبدالله ثنا أبي عن أبيه عن جده =

(١) قوله «كأنه كان مرجأ» أي قلقاً غير ثابت. أفاده الصحاح. (ع)

لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته، فإن قلت: كيف صح أن يكون لعليّ - رضي الله عنه - واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزهم أمر لا يقبل^(١) التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾: من إقامة الظاهر مقام المضمّر^(٢)، ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاماً لكونهم حزب الله، وأصل الحزب: القوم يجتمعون لأمر حزبيهم، ويحتمل أن يريد بـ «حزب الله»: الرسول والمؤمنين، ويكون المعنى: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

روي أن رفاة بن زيد وسويد بن الحارث كانا قد أظهرنا الإسلام ثم نافقنا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما (٥٤٣)، فنزلت. يعني أن اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً لا

عن علي بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية؛ ﴿إِنَّا وَجَدَكُمْ مُّشْرِكِينَ كَافِرِينَ﴾ الآية، فدخل رسول الله ﷺ المسجد والناس يصلون بين قائم وراكع وساجد وإذا سائل فقال رسول الله ﷺ: أعطاك أحد شيئاً قال: لا إلا هذا الراكع يعني علياً أعطاني خاتمه. ورواه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن علي الصائغ وعند ابن مردويه من حديث عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو واقف في صلاته - الحديث. وفي إسناده خالد بن يزيد العمري وهو متروك ورواه الشعبي من حديث أبي ذر مطولاً وإسناده ساقط. انتهى.

٥٤٣ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٣٠) (١٢٢٢١).

قلت: وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت - وتقدم أن الحافظ قال فيه: مجهول وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢١) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) قوله «لا يقبل» لعله «لا يفعل». (ع)

(٢) قال محمود: «هذا من إقامة الظاهر مقام المضمّر ومعناه... إلخ» قال أحمد: ومقابله قوله تعالى ﴿إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الْفَالِغِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ فوضع الظالمين موضع ضمير الأول ليزيدهم سمة الظلم إلى الخسران.

يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار - وإن كان أهل الكتاب من الكفار - إطلاقاً للكفار على المشركين خاصة، والدليل عليه قراءة عبد الله: «ومن الذين أشركوا»، وقرئ: «والكفار» بالنصب والجر، وتعضد قراءة الجر قراءة أبي: «ومن الكفار»، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في موالة الكفار وغيرها، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً؛ لأن الإيمان حقاً يأبى موالة أعداء الدين، ﴿تَخَذُوا﴾ الضمير للصلاة أو للمناداة. قيل: كان رجلاً من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) قال: حرّق الكاذب، فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم، فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله (٥٤٤)، وقيل: فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده، ﴿لَا يَمَقُولُونَ﴾ لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكانه لا عقل لهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مَنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ

فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

قرأ الحسن: «هل تنقمون» بفتح القاف، والفصيح كسرهما، والمعنى: هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها، ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾؟ قلت: فيه وجوه: منها أن يعطف على (أن آمننا)، بمعنى: وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان، كأنه قيل: وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: واعتقاد أنكم فاسقون ومنها. أن يعطف على المجرور، أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون، ويجوز أن يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف، كأنه قيل: وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلّة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات، ويدل عليه تفسير الحسن: بفسقكم نعمتم ذلك علينا.

وروي: أنه أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود فسألوه عن من يؤمن به من الرسل؟ فقال: «أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله: ونحن له مسلمون» فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى -

٥٤٤ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٣١/٤) (١٢٢٢٣).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٢) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدي في قوله ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَرَلِيًّا﴾، قال: كان رجل من النصارى... فذكره. انتهى.

عليه السلام -: ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً أشد من دينكم. فنزلت (٥٤٥)، وعن نعيم بن ميسرة: «وإن أكثركم»، بالكسر، ويحتمل أن ينتصب (وأن أكثركم) بفعل محذوف يدل عليه (هل تتقون)، أي: ولا تتقون أن أكثركم فاسقون، أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف، أي: (و) فسقكم ثابت معلوم عنكم، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل، إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتتصفوا.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَىٰ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنَّمُ الْقِرَدَةَ وَالْفَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوتِيكَ شَرًّا مَّكَاثًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦١﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُم مَّقَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ؕ وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى المنقوم، ولا بد من حذف مضاف قبله، أو قبل (من) تقديره: بشر من أهل ذلك، أو دين من لعنه الله، و﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ في محل الرفع على قولك: هو من لعنه الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] أو في محل الجزر على البدل من شر، وقرئ: «مُثُوبَةٌ». «مُثُوبَةٌ»، ومثالهما: مشورة، ومشورة. فإن قلت: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله [من الوافر]:

..... تَجِيءُ بَيْنِهِمْ صَرْبٌ وَجِيعٌ^(١)

ومنه ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَكَآبٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم

٥٤٥ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٣٢/٤) (١٢٢٢٤) حدثنا هناد السري قال، حدثنا يونس بن بكير، قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس.

قلت: وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت: تقدم - أنه مجهول.

وعزه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤١٣/١) - للواحد في أسباب النزول.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٢/٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، قال الحافظ في الكشاف: أخرجه الواحد في الأسباب. والوسط عن ابن عباس بهذا وأخرجه الطبري من رواية ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت. حدثني سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود وفيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع. وعازر وآزار ابني آزار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فذكر نحوه. وفيه فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته. وقالوا لا تؤمن بعيسى ولا تؤمن بمن آمن به. انتهى.

(١) تقدم.

اليهود، فلم شورك بينهم^(١) في العقوبة؟ قلت: كان اليهود - لعنوا - يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب، ف قيل لهم: من لعنه الله شرّ عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم، ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على صلة^(٢) «من» كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت، وفي قراءة أبي «وعبدوا الطاغوت»، على المعنى، وعن ابن مسعود: «ومن عبدوا»، وقرئ: «وعابد الطاغوت» عطفاً على القردة. «وعابدي». «وعباد». «وَعَبَدَ». «وَعَبَدَ»، ومعناه: الغلور في العبودية، كقولهم: رجل حذر وفطن، للبليغ في الحذر والفطنة. قال [من الكامل]:

أَبْنِي لُبَيْنِي إِنْ أُمَّكُمْ أُمَّةٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ عَابِدُ^(٣)

وعبد بوزن حطم، وعبيد، وعبد - بضمين - جمع عبيد: عبدة بوزن كفرة، وعبد، وأصله عبدة، فحذفت التاء للإضافة. أو هو كخدم في جمع خادم، وعبد^(٤) وعباد، وأعبد، وعبد الطاغوت، على البناء للمفعول، وحذف الراجع، بمعنى: وعبد الطاغوت فيهم، أو بينهم، وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله، كقولك (أمر) إذا صار أميراً، و﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، بالجر عطفاً على، ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾. فإن قلت: كيف

(١) قوله فلم شورك بينهم) لعله بينهما، أو بينهم وبين المسلمين. (ع)

(٢) قال محمود: «وعبد الطاغوت عطف على صلة من... الخ» قال أحمد: السؤال يلزم القدرية لأنهم يزعمون أن الله تعالى إنما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبانح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته، فلذلك يضطر الزمخشري إلى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم، وكذلك أول قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذْعَبُونَ إِلَى النَّكَرِ﴾ بمعنى حكمنا عليهم بذلك. هذا مقتضى قاعدة القدرية. وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقاً، فالآية على ظاهرها، والله تعالى هو الذي أشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وإذا روجع القدرية في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي يتروح إلى التأويل به، لم يقدر منه على حقيقة. ولم يفسره بغير الخلق إن اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء، والتذبذب مع الأهواء، والله ولي التوفيق.

(٣) أبني لبيني لست معترفاً ليكون الأم منكم أحد

أبني لبيني إن أمكم أمة وإن أباكم عبداً

لأوس بن حجر. وقيل لطفة بن العبد، والهمزة للنداء، والعبد كالحذر البليغ في العبودية. ورواه الفراء بالضم، لكن قال: إن ضم الباء ضرورة. وقال السيوطي: إنه بالضم اسم جمع لعبد بالسكون، لكن ظاهر البيت يخالفه. يقول: يا بني لبيني، لست معترفاً لأن يكون أحد أشد لؤماً منكم، فإن أبويكم رقيقين. وتخصيص الأمة بالرقيقة والعبد بالرقيق: عرف شائع في اللغة. وناداهم نداء الغريب، لأنه أعيظ للمواجهة بالذم. وكرر النداء مع هذه الإضافة للاستخفاف بهم.

ينظر: ديوانه ٢١، اللسان (عبد)، البحر المحيط ٣/٥٣٠، الدر المنصور ٢/٥٥٨.

(٤) قوله «وعبد» لعله بفتح العين وضم الباء كندس. أفاده الصحاح. (ع)

جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت؟^(١) قلت: فيه وجهان أحدهما: أنه خذلهم حتى عبدوه، والثاني: أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به، كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ [الزخرف: ١٩] وقيل: الطاغوت: العجل؛ لأنه معبود من دون الله، ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان، فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت، وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه -: أطاعوا الكهنة، وكل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده، وقرأ الحسن: «الطاغوت»، وقيل: وجعل منهم القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى، وقيل: كلا المسخين من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير، وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون: يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم، ﴿أُولَئِكَ الْمَلْعُونُونَ الْمَسْخُوحُونَ﴾، ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾: جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله، وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شرٌّ وأضل، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز. نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرن له الإيمان نفاقاً، فأخبره الله تعالى بشأنهم (٥٤٦) وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا، لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك، وقوله: (بالكفر) و (به) حالان، أي: دخلوا كافرين^(٢) وخرجوا كافرين، وتقديره: ملتبسين بالكفر، وكذلك قوله: (وقد دخلوا)؛ (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريباً للماضي من الحال، ولمعنى آخر: وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله ﷺ متوقفاً لإظهار الله ما كتموه، فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله: (قالوا آمنا) أي: قالوا ذلك وهذه حالهم.

﴿وَرَبِّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانَ وَأَكْثَرُهُمُ الشُّحَّةَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٢) لَوْلَا

٥٤٦ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٣٦) (١٢٢٣٤) - حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله ﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ...﴾ الآية أناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ - ...

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٣-٥٢٤) - لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

- (١) قوله «فإن قلت كيف جاز أن يجعل... إلخ» السؤال مبني على أنه لا يجوز عليه تعالى خلق الشر. وهو مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنة فيجوز كما تقرر في علم التوحيد. (ع)
- (٢) قال محمود: «المجروان حالان أي دخلوا كافرين... إلخ» قال أحمد: وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لانحاد حالهم في الكفر، أي دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر، كما تقول: لقيت زيداً بعد عوده من سفره وهو هو، أي على حاله. وفي المثل «وعبد الحميد عبد الحميد» أي حالته باقية، والله أعلم.

يَنْهَهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لِيَلْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٢٧﴾

الإثم: الكذب^(١) بدليل قوله تعالى: «عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ» . «وَالْمُدْرَيْنَ»: الظلم، وقيل: الإثم كلمة الشرك، وقولهم: عزيز ابن الله، وقيل: الإثم ما يختص بهم، والعدوان: ما يتعداهم إلى غيرهم، والمسارعة في الشيء: الشروع فيه بسرعة، «لِيَلْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير^(٢) لأن كل عامل لا يسمى صانعاً، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب وينسب إليه، وكان المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاهم فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشدّ حالاً من المواقع، ولعمري إن هذه الآية مما يقذف السامع^(٣) ويعني على العلماء توانيهم، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي أشدّ آية في القرآن (٥٤٧)، وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها (٥٤٨).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أَزَلَّ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ

٥٤٧ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٣٨/٤) (١٢٢٤٤) - حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن عطية قال: حدثنا قيس، عن العلاء بن المسيّب عن خالد بن دينار، عن ابن عباس قال: ... وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٤/٢) لأبي الشيخ .
٥٤٨ - أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (١٩/١) (٥٧) .
وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٣٨/٤) (١٢٢٤٢) .
من طريق سلمة بن نبيب عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّيُّونَ ...﴾ .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٤/٢-٥٢٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

- (١) قال محمود: «الإثم الكذب... إلخ» قال أحمد: وقوله (عن قولهم الإثم) يدل على أن الإثم الأول مقول، فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقاً. ويحتمل أن يراد كلمة الشرك، واستدلال الزمخشري على أن المراد الكذب لا يتم، وإنما يدل على أنه مقول فيحتمل الأمرين، والله أعلم.
- (٢) عاد كلامه. قال: «جعلوا آثم من مرتكبي المناكير، لأن كل عامل... إلخ» قال أحمد: يعني أنه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله ﴿لِيَلْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وعبر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله ﴿لِيَلْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ كان هذا الذم أشد، لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء، وحرقة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم. وهذا مراده والله أعلم.
- (٣) قوله «مما يقذف السامع» يعني يخففه وينشطه. وهذا إن كان مشدد الذال من القذف. أو بضره حتى يسترخي ويشرف على الموت. وهذا إن كان مخففاً من القذف. (ع)

الْقَيْمَةَ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَحِثُّ

الْمُقْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزياً لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين^(٢) للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد، كقوله [من الكامل]:

جَادَ الْحَمَىٰ بَسْطُ الْيَدَيْنِ بِوَابِلٍ شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلَاعَهُ وَوَهَادَهُ^(٣)

ولقد جعل ليد للشمال يداً في قوله [من الكامل]:

إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(٤)

(١) قال محمود: «غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود... إلخ» قال أحمد: والنكته في استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالباً، ولا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن؛ فلما كان للجود وللبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل، عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات، والله أعلم.

(٢) قوله «وقعتا متعاقبتين» لعله «متعاقبتين». (ع)

(٣) جاد الحمى أي: أمطر فيه وسط اليدين فاعل، وأصله مصدر أريد به المنبسط ضد المنقبض ويروي بسط بتقديم السين صفة مشبهة كضخم وهو بمعنى المسترسل المنبسط كناية عن الكريم كما أن منقبض اليدين كناية عن البخل فشبه السحاب بإنسان كريم على سبيل المكنية وإثبات اليدين تخييل. والتلعة: الأرض المرتفعة. والوهدة: الأرض المنخفضة. وشبه أعالي الحمى وأفاعله بطلاب الرزق وشكرها تخييل والندى بمعنى العطاء ترشيح للأولى. ويجوز أنه حقيقة لا بمعنى العطاء ويجوز أن الشكر تخييل للأولى أيضاً. يقول: أمطر السحاب أرض الحما بمطر كثير فأنبئت وأزهرت. وهذا معنى شكرها. ويجوز أن التلاع والوهاد مجاز عن أهلها النازلين فيها

(٤) وغداة ربح قد كشفت وقررة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للبيد، من المعلقة. يقول: ورب غداة ربح قد كشفتها أي غمعتها عن الناس. ويروي «قد وزعت» أي كفتها ومنعتها. ورب غداة قررة، بالكسر والضم أي شدة برد كشفت بردها أيضاً. والكشف خاص بالمحسوس فاستعير للمعقول من غمة الجوع والبرد على طريق التصريح. ويجوز أن إزالة الريح والبرد عن الناس كناية عن إدخالهم بيته لإكرامهم. وشبه الغداة بمطية لها زمام. أو شبه القررة بذلك. وشبه الشمال - وهو نوع من الرياح - بقائد يقود تلك المطية على طريق المكنية، والزمام تخييل للأولى، واليد للثانية، وليس بلازم أن يكون للمشبه شيء حقيقي يشبه ما للمشبه به على =

ويقال: بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان، ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به. فإن قلت: قد صح أن قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلُولَةٌ﴾ عبارة عن البخل^(١). فما تصنع بقوله: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟ ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم، ونحوه بيت الأشر [من الكامل]:

بَقِيْتُ وَفَرَى وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ^(٢)

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغللون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم، والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز، كما تقول:

= المختار كاليد والزماد هنا. والمعنى أن الشمال تارة تجعل الغداة مغبرة باردة، وتارة لا. أو تارة تثير الغبار والبرد في جهة، وتارة في أخرى.

ينظر: ديوانه (١٧٦)، شرح القصائد العشر (٢٩٧)، العمدة ١/٢٦٩، البحر ٣/٥٣٥، روح المعاني (٥٦/١٥)، الدر المصون ٢/٥٦٦.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت قد صح أن قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل... إلخ» قال أحمد: لقد نقض قضيته التي أوردها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة في أن الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيئاً مما نواه عليهم، وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لأنه لم يرد منهم، ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتأويل والتمسك بالأباطيل. والحق أن الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم، فهو الداعي والخالق، لا خالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان، فإنه فيه أفرس الفرسان، لا يجارى في ميدانه ولا يمارى في بيانه.

(٢) بقيت وفري وانحرفت عن العلاء ولقيت أضيافي بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن حرب غارة لم نخل يوماً من نهاب نفوس

للأشر النخعي. والبيت الأول في صورة الخبر. والمراد به إنشاء الدعاء على نفسه بالبخل. ويجوز أنه من باب التعليق بالممتنع، والوفر المال الكثير ويروى بقيت وحدي أي فنيت عشيرتي أو بعدت عنها والانحراف التباعد عن حرف الشيء المحسوس كما أن العلى خاص بالمحسوسات، فيجوز أنه استعار الانحراف للإعراض والعدول على طريق التصريحية والعلى ترشيح. ويحتمل أنه استعار العلى للمكارم والانحراف ترشيح. وقوله بوجه عبوس: أي رجل عبوس، ففيه معنى التجريد إن لم أشن بالضم شرط دل ما قبله على جوابه، أي إن لم أفوق حرباً على ابن حرب معاوية بن صخر بن حرب، بحيث تأتيه من كل فج. ويروى «على ابن هند» ولم تخل صفة غارة، ونهاب النفوس: أخذ الأرواح بالقتل أو أسر الذوات. ويروى «ذهاب نفوس» أي فنانها. وفي الكلام الإدماج، حيث ضمن تهديد معاوية مدح نفسه بالكرم، حتى أن البخل عنده من أكبر المصائب وأشد العار، حتى علقه بالممتنع فأفاد امتناعه.

ينظر: الحماسة ١/٩٣، وأمالي القالي ١/٨٥، معجم الشعراء (٢٦٣)، والدر المصون ١/٤٢٩.

سبني سب الله دابره، أي: قطعه؛ لأنَّ السَّب أصله القطع. فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد؟ قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلًا إلى بخلهم ونكدًا إلى نكدهم، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحذوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم. فإن قلت: لم ثبت اليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وهي مفردة في، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾^(١)؟ قلت: ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً فبني المجاز على ذلك، وقرئ: «ولغنوا» يسكون العين، وفي مصحف عبد الله: «بل يدها بسطان». يقال: يده بسط بالمعروف، ونحوه مشية شح^(٢) وناقفة صرح، ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: تأكيد للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا يتفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة. روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً، فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه، (٥٤٩) ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَيْفَ أَتَى﴾: يزدادون عند نزول القرآن لحسدتهم تمادياً في الجحود وكُفراً بآيات الله، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ﴾ فكلهم أبدأً مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد، ﴿كَلِمًا أَوْفَدُوا نَارًا﴾: كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وفهروا ولم يقيم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد آتاهم الإسلام في ملك المجوس، وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختصر ثم

٥٤٩ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٤٠) - قال عكرمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ الآية، نزلت في فنحاص اليهودي.

وعزه السيوطي في الدرر النور (٢/٥٢٥) لأبي الشيخ ولكنه عن ابن عباس...

(١) عاد كلامه. قال فإن قلت: لم ثبت اليد في (يدها مبسوطتان) وهي مفردة في قولهم (يد الله)... الخ قال أحمد بن حنبلان المعهود في العطاء أن يكون بإحدى اليدين وهي اليمين، وكان الغالب على اليهود - لعنت - اعتقاد الجسمية. جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء - فبين الله تعالى كذبهم في الأمرين في نسبة البخل وفي إضافته إلى الواحدة. تنزيلاً منهم على اعتقاد الجسمية، بأن ينسب إلى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط، وبأن إضافته إلى اليدين جميعاً لأن كلتا يديه يمين. كما ورد في الحديث تنبيهاً على نفي الجسمية، إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يميناً والأخرى شمالاً ضرورة. فلما أثبت أن كليهما يمين نفي الجسمية وإضاف الكرم إليهما، لا كما يضاف في الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة، إذ الأخرى شمال وليست محلاً للتكرم، والله أعلم.

(٢) قوله «شح» في الصحاح «الشحشحة» الطيران السريع. و «قطاة شحشح» أي سريعة اه فلعل الشحح مثله وفيه أيضاً «الصرح» بالتحريك: الخالص من كل شيء. (ع)

أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين، وقيل: كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم، وعن قتادة - رضي الله عنه - لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَسَعَوْنَ﴾: ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله ﷺ من كتبهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ
الْنَّعِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع ما عددنا من سيئاتهم، ﴿ءَامَنُوا﴾ برسول الله ﷺ وبما جاء به، وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ مع المسلمين الجنة، وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتح باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجي^(١) ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى، كما قال الحسن: هذا العمود فأين الإطناب، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكانها أنزلت إليهم؛ وقيل: هو القرآن. لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا، وقوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ عبارة عن التوسعة، وفيه ثلاث أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن

(١) قال محمود: «فيه دليل على أن الإيمان لا ينجي... إلخ» قال أحمد: وهو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعله دليلاً على قاعدته في أن مجرد الإيمان لا ينجي من الخلود في النار حتى يضاف إليه التقوى، لأن الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرطاً للتفكير وإدخال الجنة. وظاهره أنهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة، وأنه له ذلك والإجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على أن مجرد الإيمان يجب ما قبله ويمحوه، كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الإيمان عقب دخوله فيه، لكان كيوم ولدته أمه بانفاق مكفر الخطايا محكوماً له بالجنة، فدل ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس بشرط. هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال. وإن كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل، فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن قارف الكبائر. وحينئذ لا يتم للزمخشري منه غرض. وما هذا إلا الإحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى أو سرق» كررها النبي صلى الله عليه وسلم مراراً، ثم قال: «وإن رغم أنف أبي ذر»، لما راجعه رضي الله عنه في ذلك. ونحن نقول. وإن رغم أنف القدرية.

يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل^(١) منها من رءوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: طائفة حالها أمم^(٢) في عداوة رسول الله ﷺ وقيل: هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى، ﴿وَسَاءَ مَا يَحْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم، وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً^(٣)، ولا خائف أن ينالك مكروه، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وقرئ: «رسالاته»، فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالات، ولم تؤد

(١) قوله «ما تهدل» أي استرخى وتدلى، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «أمم» أي يسير، أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحداً، ولا خائف أن ينالك مكروه. (وإن لم تفعل) معناه: وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته، فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئاً قط. وذلك أن بعضها ليس بأولى من البعض، فكأنك أغفلت أداءها جميعها، كما أن من يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدل به غيرها. وكونها كذلك في حكم الشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ، مؤمناً به غير مؤمن، إلى أن قال: «فإن قلت وقوع قوله (فما بلغت رسالته) جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنه إذا لم تمثل... إلخ» قال أحمد: وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر؛ لأن حاصله إن لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة، باتحاد المبتدأ والخبر، حتى لا يزيد الخبر عليه شيئاً في الظاهر كقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

فجعل الخبر عن المبتدأ بلا مزيد في اللفظ، وأراد: وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته، ولكنه أفهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة أنها من لوازم شعره في أفهام الناس السامعين، لاشتهاره بها، وأنه غني عن ذكرها لشهرتها وذواعها. وكذلك أريد في الآية لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الأفهام أنه عظيم شنيع يتقم على مرتكبه. بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلاً عن كتمان الرسالة من الرسول، فاستغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الأفهام وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد. وحسن هذا الأسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاماً بقوله (وإن لم تفعل) ولم يقل وإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة. حتى يكون اللفظ متغايراً، وهذه المغايرة اللفظية وإن كان المعنى واحداً أحسن رونقاً وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء، وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ الخبر، وحق له أن تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك. وهذا الفصل كاللباب من علم البيان، والله الموفق.

منها شيئاً قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، وإن لم تؤدّ بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدلّه^(١) غيرها، وكونها كذلك^(٢) في حكم شيء واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ، مؤمناً به غير مؤمن به، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن كتبت آية لم تبلغ رسالتي (٥٥٠)، وروي عن رسول الله ﷺ: «بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً، فأوحى الله إليّ إن لم تبلغ رسالتي عذبتك، وضمن لي العصمة فقويت» (٥٥١). فإن قلت: وقوع قوله: ﴿فَأَبْلَغَتْ رِسَالَتَهُ﴾ جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنه إذا لم يمثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتبتها كلها كأنه لم يبعث رسولاً كان أمراً شنيعاً لاختفاء بشناعته، فقيل: إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها، كما عظم قتل النفس بقوله: ﴿نَكَأْنَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] والثاني: أن يراد: فإن لم تفعل فلك ما يوجه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب، ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام: «فأوحى الله إليّ إن لم تبلغ رسالتي عذبتك» (٥٥٢)، ﴿وَأَلَّهُ يَمُوتُكَ﴾ عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن قلت: أين ضمان العصمة وقد شخّ في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته

٥٥٠ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٤٧) (١٢٢٧٣)، حدّثني المثنى قال: حدّثنا عبدالله بن صالح قال: حدّثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس... .

قلت: وعبدالله بن صالح هو أبو صالح المصري كاتب الليث - وفيه مقال. قال الحافظ في التقریب (١/٤٢٣) (٣٨١) صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة.

٥٥١ - عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٤١٣) (٤٢٥) لإسحاق بن راهويه في مسنده... من طريق عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبي هريرة مرفوعاً... وللواحد في أسباب النزول، عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلأ من غير سند.

وذكره أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٨) - عن الحسن عن النبي مرسلأ وعزاه لأبي الشيخ وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه إسحاق في مسنده. أخبرنا كلثوم بن محمد بن أبي سدرة. حدّثنا عطاء الخراساني عن أبي هريرة به ولم يذكر وضمن لي العصمة فقويت وذكره الواحد في الوسيط والأسباب عن الحسن بغير سند. انتهى.

٥٥٢ - ينظر الحديث السابق.

(١) قوله «بما يدلّه» يدلّي به. (ع)

(٢) قوله «وكونها كذلك» لعله «لذلك». (ع)

(٥٥٣) صلوات الله عليه؟ قلت: المراد أنه يعصمه من القتل، وفيه: أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: نزلت بعد يوم أحد، والناس: الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك، وعن أنس: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس» (٥٥٤).

٥٥٣ - متفق عليه من حديث سهل - وقد تقدّم في تفسير آل عمران - وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث سهل، وقد تقدّم في تفسير آل عمران. انتهى.

٥٥٤ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤١٤/١) (٤٢٧): غريب من حديث أنس ولم أجده إلا من حديث عائشة. وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده من حديث أنس. قلت: وحديث عائشة.

أخرجه الترمذي (٢٥١/٥) - كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب «ومن سورة العائدة» - (٣٠٤٦) وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٤٧/٤) (١٢٢٧٩). والحاكم في المستدرک (٣١٣/٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي. والبيهقي في دلائل النبوة (١٨٤/٢).

كلهم من طريق مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبدالله بن شقيق عن عائشة قالت: كان النبي - ﷺ - يحرس...

قلت: وقد حرف اسم «سعيد الجريري» في مستدرک الحاكم إلى «معيد» - فلينبه لذلك - وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبدالله بن شقيق قال: كان النبي - ﷺ - يُحْرَمُ ولم يذكروا فيه عن عائشة.

قلت: وهذا المرسل الذي أشار إليه الترمذي. أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٢٧٧) من طريق ابن عليه، عن الجريري عن عبدالله بن شقيق. أن رسول الله - ﷺ - كان يعتقه... وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. قلت: وللحديث شاهد من حديث.

١ - عبدالله بن عباس: ولكن في سنده ضعف. أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٦/١١) (١١٦٦٣). من طريق عبد الحميد الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال. كان رسول الله - ﷺ - يحرس فكان يرسل معه عمه أبو طالب...

قال الهيثمي في المجمع (٢٠/٧) وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف. ٢ - أبي سعيد الخدري.

قال: كان عباس عم رسول الله - ﷺ - فيمن يحرسه... قال الهيثمي في المجمع (٢٠/٧) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عطية العوفي وهو ضعيف.

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:

لم أجده من حديث أنس، وقد أخرجه الترمذي من رواية أبي قدامة الحارث بن عبيد عن سعيد =

﴿ قُلْ يَا هَلَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٨)

﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً فساده وبطلانه، كما تقول: هذا ليس بشيء. تريد تحقيره وتصغير شأنه، وفي أمثالهم: أقل من لا شيء، ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾: فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غنى عنهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٩)

﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ رفع على الابتداء وخبره^(١) محذوف، والنية به التأخير عما في حيز «إن» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، وأشد سبويه شاهداً له [من الوافر]:
وَالْأَفْغَلُمُوا أَنَا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقٍ^(٢)

= الحريري عن عبدالله بن شقيق عن عائشة. وقال: غريب. ورواه بعضهم عن الحريري مرسلأ ليس فيه عائشة. ورواه موصولاً الطبري من رواية ابن علي عن الحريري ولكنه رواه من رواية وهب عن الحريري. انتهى.

() قال محمود: «فيه الصائبون رفع على الابتداء وخبره محذوف... إلخ» قال أحمد: لا ورود للسؤال بهذا التوجيه، ولكن ثم سؤال متوجه، وهو أن يقال: لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضاً دخولهم في جملة المتوب عليهم، ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم، فما الظن بالنصارى. وكان الكلام جملة واحدة بليغاً مختصراً والعطف إفرادي، فلم عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين، وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الإفرادي؟ ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه - عطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف، لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات. وهذا الصنف من جملتها، والخبر عنها واحد. وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به. ويكون خير هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلاً: والصابئون كذلك فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة، لأنهم لما استقر بعد الأصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعاً وفرعاً، مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر. وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر بين الجزئين، أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقصي الكلام وتمامه، والله أعلم.

(٢) إذا جسزت نواصي آل بدر فأدوها وأسرى في الوثائق =

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل «إن» واسمها؟ قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيداً وعمرو منطلقان. فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير، فكأنك قلت: إن زيداً منطلق وعمرو؟ قلت: لأنني إذا رفعت رفعت عطفاً على محل «إن» واسمها، والعامل في محلها هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمها (إن) في عملها؛ فلو رفعت ﴿الْقَائِلُونَ﴾ المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بـ «أن»، لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فإن قلت: فقله و﴿الْقَائِلُونَ﴾ معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الخ ولا محل لها، كما لا محل لتي عطف عليها، فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غيياً، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله: (وأنتم) تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغية من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو (بغية) لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً فإن قلت: فلو قيل: والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلاً. قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال: مقدّم ومؤخر للمزال لا للقاتر في مكانه، ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام، فإن قلت: كيف قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾

والفاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

لبشر بن خازم الأسدي، يخاطب بني طيء ويتوعدهم بما صنعوا بأل بدر حلفاء بني أسد والناصية: مقدم شعر الرأس: وجز النواصي حقيقة، على عاداتهم من جز ناصية الأسير إذا أرادوا إطلاقه، فطالبهم بمقتضاها وقال: فأدوها، أي الأسرى التي جزت نواصيها. أو أدوا النواصي نفسها. ويجوز أنه مجاز عن قتل كبرائهم. وقوله «فأدوها» أي دماء القتلى وأسرى عطف على الضمير المفعول. وإلا، أي وإن لا تفعلوا فاعلموا أنا وأنتم بغاة. وبغاة: خبر أنا. وخبر أنتم محذوف، أي بغاة أيضاً. ولم يجعل المذكور خبراً عنه أيضاً، لأنه ليس عطفاً على اسم إن، وإلا لقال: إنا وإياكم، بل هو من عطف الجمل. ولا يقال فيه العطف على الجملة قبل تمامها، لا تقول: سمع العطف قبل المعطوف عليه بالكلية في قوله: عليك ورحمة الله السلام. و «في شقاق» خبر ثان، أي في خلاف ما بقينا. أي مدة بقائنا، يعني وأنتم تعلمون بأسنا في الحرب.

ينظر ديوانه ص ١٦٥، والإنصاف ١/١٩٠، وتخليص الشواهد ص ٣٧٣، وخزانة الأدب ١٠/٢٩٣، ٢٩٧، وشرح أبيات سيبويه ٢/١٤، وشرح التصريح ١/٢٢٨، والكتاب ٢/١٥٦، والمقاصد النحوية ٢/٢٧١، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٦٩.

ثم قال: ﴿مَنْ ءَامَرَ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد بالذين آمنوا: الذين آمنوا بالسننهم وهم المنافقون وأن يراد بـ «من آمن». من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه. فإن قلت: ما محل «من آمن» قلت: إما الرفع على الابتداء وخبره، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِنَّ﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر «إن»، وإما النصب على البدل من اسم «إن» وما عطف عليه، أو من المعطوف عليه. فإن قلت: فأين الراجع إلى اسم «إن»؟ قلت: هو محذوف تقديره من آمن منهم، كما جاء في موضع آخر، وقرئ: «والصابيون»، بياء صريحة، وهو من تخفيف الهمزة، كقراءة من قرأ: «يستهبون». «والصابون»: وهو من صبوت، لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع، وفي قراءة أبي - رضي الله عنه -: «والصابئين»، بالنصب، وبها قرأ ابن كثير، وقرأ عبد الله: «يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون».

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَنَّا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٦)

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا﴾ ميثاقهم بالتوحيد، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم، ﴿كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: جملة شرطية وقعت صفة لرسلاً، والراجع محذوف أي رسول منهم، ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾: بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع. فإن قلت: أين جواب الشرط^(١) فإن قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ناب عن الجواب، لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول: إن أكرمت أخي أخاك أكرمت؟ قلت: هو محذوف يدل عليه قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ جواب مستأنف. لقائل يقول: كيف فعلوا برسلمهم؟ فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضياً^(٢) وبالآخر مضارعاً؟ قلت: جيء ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على حكاية الحال الماضية

(١) قال محمود: «إن قلت أين جواب الشرط... إلخ» قال أحمد: وما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهراً في الآية الأخرى، وهي توامة هذه قوله تعالى ﴿أَفَكَلَّمْنَا بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فأوقع قوله (استكبرتم) جواباً. ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض. ولو قدر الزمخشري ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في أخت الآية فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ استكبروا، لكان أولى للدلالة مثله عليه.

(٢) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضياً... إلخ» قال أحمد: أو يكون حالاً على حقيقته لأنهم داروا حول قتل محمد عليه الصلاة والسلام. وقد قيل هذا الوجه في أخت هذه الآية في البقرة. وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضي وتمثيله بقوله =

استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشيعة للتعجب منها.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَمَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

قرىء: «ألا تكون»، بالنصب على الظاهر، وبالرفع عن (أن) هي المخففة من الثقيلة. أصله: أنه لا تكون فتنة فخففت (أن) وحذف ضمير الشأن.

فإن قلت: كيف دخل فعل الحسبان على (أن) التي للتحقيق؟ قلت: نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم، فإن قلت: فأين مفعولا حسب؟ قلت: سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين، والمعنى: وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة، أي: بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة، ﴿فَعَمُوا﴾ عن الدين، ﴿وَصَمُوا﴾ حين عبدوا العجل، ثم تابوا عن عبادة العجل ف﴿تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو^(١) الرؤية: وقرىء: «عموا وضموا»، بالضم على تقدير عماهم الله وضمهم، أي: رماهم وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: نركته إذا ضربته بالنيزك^(٢) وركبته إذا ضربته بركبتك، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير. أو على قولهم: أكلوني البراغيث، أو هو خير مبتدأ محذوف أي: أولئك كثير منهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾﴾

لم يفرق عيسى - عليه الصلاة والسلام - بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم، وهو احتجاج على النصراني، ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته

= تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ أَلْزَمَ مِنِ الْسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ فعدل عن فأصبحت إلى فتصبح، تصويراً للحال واستحضاراً لها في ذهن السامع. ومنه [من الوافر]:

بأنني قد لقيت القول يسعى

فأخذه فأضربها فخرت

وأمثاله كثيرة والله أعلم.

(١) قوله «وهو الرؤية» أحالها مذهب المعتزلة، وأجازها أهل السنة كما حقق في محله. (ع)

(٢) قوله «إذا ضربته بالنيزك» هو الرمح القصير، وهو فارسي معرب، أصله نيزه، فأبدلت الهاء كافاً. كذا بهامش، وأصله في الصحاح. (ع)

أو أفعاله، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين أي: حرمة دخولها ومنعه منه، كما يمنع المحرم من المحرم عليه، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من كلام الله على أنهم ظلموا⁽¹⁾ وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى - عليه السلام -، فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم رده وأنكره، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره. أو من قول عيسى - عليه السلام -، على معنى: ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالة وبعده عن المعقول. أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنَّهُ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾:

«من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ للاستغراق وهي القدرة مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك: لا إله إلا الله والمعنى: وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له، و (من) في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: للبيان كالتي في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الْرِجْلَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] فإن قلت: فهلا قيل: ليمسهم عذاب أليم. قلت: في إقامة الظاهر مقام المضمرة فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾: وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير «الذين كفروا منهم» أنهم بمكان من الكفر، والمعنى: ليمسَّن الذين كفروا من النصارى خاصة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: نوع شديد الألم من العذاب كما تقول: أعطني عشرين من الثياب، تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون، ويجوز أن تكون للتبعض، على معنى: ليمسَّن الذين بقوا على الكفر منهم، لأن كثيراً منهم تابوا من النصرانية، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾: ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكزرة عليهم بالكفر، وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه، وفيه تعجيب من إصرارهم، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة لـ «رسول»، أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها، أن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده، فقد أحيا

(١) قوله «على أنهم ظلموا» لعله على معنى أنهم. (ع)

العصا وجعلها حية تسعى، وفتح بها البحر، وطمس على يد موسى^(١). وأن خلقه من غير ذكر، فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، ﴿وَأُنثَىٰ صِدْقَةً﴾ أي: وما أمه أيضاً إلا كصديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنين بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين: أحدهما نبي، والآخر صحابي. فمن أين أشبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم؟ مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه. ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله: ﴿كَانَا يَاكُلَانِ الْخَلْعَامَ﴾ لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفص لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم^(٢) وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام، ﴿كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم: ﴿أَنَّهُ يُؤَكِّرُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله. فإن قلت: ما معنى التراخي في قوله: «ثم انظر»؟^(٣) قلت: معناه ما بين العجيبين، يعني أنه بين الآيات بياناً عجيباً، وأن إعراضهم عنها أعجب منه.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾: هو عيسى، أي: شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلياء والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب، ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فيإقذار الله وتمكينه، فكانه لا يملك منه شيئاً، وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية، حيث جعله لا يستطيع ضراً ولا نفعاً، وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور على قدرته، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ متعلق بـ «أتعبدون»، أي: أتشركون بالله ولا تخشونه، وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر.

(١) قوله «وطمس على يد موسى» لعله وطمس على أموال فرعون وقومه على يد... إلخ. (ع)

(٢) قوله «ورقم» في الصحاح «القرم» بالتحريك: شدة شهوة اللحم. (ع)

(٣) قال محمود: «فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر... إلخ» قال أحمد: ومنه ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله ﴿فَقِيلَ كَيْفَ تَدْرَأُونَ﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ تَدْرَأُونَ﴾ وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني إلى التراخي المعنوي في المراتب.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧)

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة للمصدر أي: لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق^(١) أي: غلواً باطلاً؛ لأنَّ الغلو في الدين غلوان: غلَوْ حق: وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أبعاد معانيه، ويجهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم، وغلَوْ باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه، كما يفعل أهل الأهواء والبدع، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾: هم أئمتهم في النصرانية، كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: ممن شايعهم على التثليث، ﴿وَضَلُّوا﴾ لما بعث رسول الله ﷺ، ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) ﴿كَرِهْتُ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨١)

نزل الله لعنهم في الزبور، ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ وفي الإنجيل على لسان عيسى، وقيل إن أهل أيلة، لما اعتدوا في السبت قال داود - عليه السلام -: اللهم العنهم واجعلهم آية، فمسخوا قرده، ولما كفر أصحاب عيسى - عليه السلام - بعد المائدة قال عيسى - عليه السلام -: اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل، ما فيهم

(١) قال محمود: «معناه لا تغلوا في دينكم غلواً باطلاً... إلخ» قال أحمد: يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة، ويعني بغلومهم الذي هو حق عندهم أنهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الإلهية، وغلوا في التعديل فنفوا أكثر الأفعال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها في مفسد: ولأن الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها، والعدل عندهم ألا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلومهم في التعديل، وهو كما ترى أنه كاسد عن التوحيد؛ لأنهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقاً، فالنصارى غالوا فأشركوا ثلاثة، والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الأدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب. ويعني الزمخشري بأهل البدع والأهواء من عدا الطائفة المذكورة، ويعني غلومهم الباطل إثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق، حتى لا خالق سواه ولا مخلوق إلا بقدرته، وقد ترضى عن شيعته وإخوانه وسكت عن ذكر من عداهم، ونحن نقول: اللهم ارض عن من هو أحق الطوائف برضاك، وهذه دعوة أيضاً بلا خلاف، والله الموفق.

امرأة ولا صبي، ﴿ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا﴾ أي: لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ، إلا لأجل المعصية والاعتداء، لا لشيء آخر؛ ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا ينهى بعضهم بعضاً، ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ ثم قال: ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لأنه حبيب من سوء فعلهم، مؤكداً لذلك بالقسم، فإيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المنكير، وقلة عيبتهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب. فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر^(١) تفسيراً للمعصية والاعتداء؟ قلت: من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء، لأن في التناهي حسماً للفساد فكان تركه على عكسه. فإن قلت: ما معنى وصف المنكر بـ«فعلوه»، ولا يكون النهي بعد الفعل؟ قلت: معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهدأ فتتكسر، ويجوز أن يراد: لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصبرون عليه ويداومون على فعله. يقال: تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه، ﴿وَرَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين ويصافونهم، ﴿أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هو المخصوص بالذم، ومحلّه الرفع، كأنه قيل: لبس زاهم إلى الآخرة سخط الله عليهم، والمعنى: موجب سخط الله، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾: إيماناً خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: يعني أن موالاته المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمان، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَدَقُّوهُ﴾: متمردون في كفرهم ونفاقهم، وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمُ﴾

(١) قال محمود: «إن قلت كيف وقع ترك التناهي... إلخ؟ قال أحمد: وفي هذا التوبيخ الإخبار بأمرين قبيحين، أحدهما: بأنهم كانوا يفعلون المنكر، والآخر: أنهم كانوا تاركين للنهي عنها، أي عن أمثالها في المستقبل ولولا زيادة (فعلوه) لما صرح بوقوعها منهم، ولكان المصرح به ترك الأمرين جميعاً عند استحقاق النهي، وذلك حين الإشراف على تعاطيه وظهور الأمارات الدالة عليه، فانتظم ثبوت الأمرين جميعاً على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعري، من أن متعلق النهي فعل وهو الترك، خلافاً لأبي هاشم المعتزلي في قوله «إن متعلقه نفي محض وعدم صرف، ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهي الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل. فتجعل الرجل واقفاً على زيد. وقد سمي تركهم للنهي عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنفاً، فقال ﴿لَوْ لَا يَتَنَاهَوْنَ أَرْبَابَهُمْ وَأَلْبَابَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وذلك أبلغ في الدلالة على أن متعلق النهي أمر ثابت، إذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الإثبات، وقد مر هذا التقرير، والله الموفق.

مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَكُمُ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قِتَابٌ وَرُحْبَانًا
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُنِبْ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا
مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوَّامِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَائِدَتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩١﴾

وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق^(١) ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوانهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ٩٦] ولعمري إنهم لكذلك وأشد، وعن النبي ﷺ: «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله» (٥٥٥) وعلل

٥٥٥ - أخرجه ابن حبان في كتاب المجروحين (١٢٢/٣) من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - «ما خلا...».

وقال ابن حبان: يحيى بن عبيد الله بن موهب... يروي عن أبيه ما لا أصل له وأبوه ثقة فلما كثر روايته عن أبيه ما ليس من حديثه سقط عن حد الاحتجاج به...

والحديث رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٣١٦/٨) بإسناد آخر وقال: غريب جداً.

وعزه ابن كثير (٨٥/٢) لأبي بكر بن مردويه. وقال: وهذا حديث غريب جداً. وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٢) لأبي الشيخ، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه وابن حبان في الضعفاء من رواية يحيى بن عبيد الله عن أبيه، عن أبي هريرة وفي رواية ابن حبان «يهودي» على الأفراد. انتهى.

(١) قال محمود: «وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم... إلخ» قال أحمد: وإنما قال ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَكُمُ﴾ ولم يقل: النصارى. تعريضاً بصلافة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للأمر، لأن اليهود قيل لهم ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عِلَّ أَدْبَارِكُمْ﴾. فقابلوا ذلك بأن قالوا ﴿فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَتِيدُونَ﴾ والنصارى قالوا ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ثم سموا نصارى، وكذلك أيضاً ورد أول هذه السورة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَكُمُ أَحَدَانَا يَمْتَنِعُونَ فَمَا كُنَّا وَهَمًّا وَكُفْرًا يَدْعُونَ﴾ فأسند ذلك إلى قولهم، والإشارة به إلى قولهم ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ لكنه ههنا ذكر تنبيهاً على أنهم لم يشبوا على الميثاق، ولا على ما قالوه من أنهم أنصار الله. وفي الآية الثانية ذكر تنبيهاً على أنهم أقرب حالاً من اليهود، لأنهم لما ورد عليهم الأمر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود، بل قالوا ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ واليهود قالت ﴿فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَتِيدُونَ﴾ فهذا سره والله أعلم.

سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين، ﴿يَأْتِي مِنْهُمْ قَتِيلَاتٌ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء وعباداً ﴿وَأَنْتُمْ﴾ قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك، وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين، وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني، ووصفهم الله بركة القلوب وأنهم سيكون عند استماع القرآن، وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي - رضي الله عنه - أنه قال لجعفر بن أبي طالب - حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون - لعنوا - وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عندهم - : هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إليها، فقرأها إلى قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] فبكى النجاشي (٥٥٦) وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس. فبكوا (٥٥٧). فإن قلت: بم تعلق اللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: بـ «عداوة» و«مودّة»، على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشدّ العداوات وأظهرها، وأن مودّة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودّات، وأدناها وجوداً، وأسهلها حصولاً، ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودّة مما يؤدّن بالتفاوت، ثم وصف العداوة والمودّة بالأشدّ والأقرب. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ﴾^(١) قلت: معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن

٥٥٦ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤١٥/١) (٤٢٩).

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده، قلت: أظن صاحب الكشاف ذكره بالمعنى من قصة جعفر بن أبي طالب مع عمرو بن العاص لما أرسلته قريش بهديتها إلى النجاشي ليدفع إليهم جعفرًا ورفقاه فإن معنى ما ذكر موجوداً فيها إلا قراءة طه، أخرجه ابن إسحاق في المغازي، من طريق بن حبان من حديث أم سلمة، وقوله: وكذلك فعل قومه أي النجاشي الذين وفدوا على رسول الله ﷺ. وهم سبعون رجلاً حين قرأ النبي ﷺ سورة يس: الطبري من رواية قيس بن الربيع. عن سالم الأفتس عن سعيد بن جبیر في قوله ﴿ذَلِكَ يَأْتِي مِنْهُمْ قَتِيلَاتٌ وَرُهْبَانًا﴾. قال نعم رسل النجاشي الذين أرسلت وإسلام قومهم وكانوا سبعين رجلاً فدخلوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم يس. فبكوا وعرفوا الحق. فنزلت ونزل فيهم أيضاً ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَافِظُونَ﴾ وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن قيس. انتهى.

٥٥٧ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره حديثي حارث، ثنا عبدالعزيز ثنا قيس، عن سالم الأفتس عن سعيد بن جبیر في قوله ﴿ذَلِكَ يَأْتِي مِنْهُمْ قَتِيلَاتٌ وَرُهْبَانًا﴾. وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) عاد كلامه. قال: «إن قلت ما معنى قوله (ترى أعينهم تفيض من الدمع... إلخ) قال أحمد: وهذه =

يتملىء الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الأمتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً فإن قلت: أي فرق بين «من» و«لامن» في قوله: ﴿وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾؟ قلت: الأولى لا ابتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتداءً ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وبسببه، والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، وتحتمل معنى التبويض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم وبلغ منهم، فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة؟ وقرئ «تُرَى أعينهم» على البناء للمفعول، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾: المراد به إنشاء الإيمان، والدخول فيه، ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد ﷺ الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجب وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين، وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك. أو أرادوا: وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين، وذلك ليس بإيمان بالله، ومحل (لا نؤمن) النصب على الحال، بمعنى: غير مؤمنين، كقولك: مالك قائماً، والواو في، ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واو الحال. فإن قلت: ما العامل في الحال الأولى والثانية؟ قلت: العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل، كأنه قيل: أي شيء حصل لنا غير مؤمنين، وفي الثانية معنى هذا الفعل، ولكن مقيداً بالحال الأولى؛ لأنك لو أزلتها وقلت: وما لنا ونطمع، لم يكن كلاماً، ويجوز أن يكون (ونطمع) حالاً من «لا نؤمن»، على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله، ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين، وأن يكون معطوفاً على لا نؤمن على معنى: وما لنا نجتمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين، أو على معنى: وما لنا لا نجتمع بينهما بالدخول في الإسلام، لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين. قرأ الحسن: «فآتاهم»، ﴿يَا قَالُوا﴾: بما تكلموا به

= العبارة من أبلغ العبارات، وأنها ما هي ثلاث مراتب، فالأولى: فاض دمع عينه، وهذا هو الأصل. والثانية: محولة من هذه. وهي قول القائل: فاضت عينه دمعاً حولت الفعل إلى العين مجازاً ومبالغة، ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلاً على التمييز. والثالثة: فيها هذا التحويل المذكور، وهي الواردة في الآية، إلا أنها أبلغ من الثانية بإطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التمييز، وإبرازه في صورة التعليل والله أعلم. وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز: لأن التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلاً في الأصل في مثل: تصيب زيد عرقاً، وتفقأ عمرو شحماً، واشتعل الرأس شيباً، وتفجرت الأرض عيوناً. فإذا قلت: فاضت عينه دمعاً، فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله. وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك. ألا تترك تقول: فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع، فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق.

عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أي: اعتماده وما يذهب إليه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما طاب ولد من الحلال، ومعنى ﴿لَا تَحْرِمُوا﴾ لا تمنعوها
أنفسكم كمنع التحريم. أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها
ترهداً منكم وتقشفاً^(١) وروي: أن رسول الله ﷺ وصف القيامة يوماً لأصحابه، فبالغ
وأشبع الكلام في الإنذار، فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على ألا
يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا
النساء والطيب، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح^(٢) ويسيحوا في الأرض، ويجبوا
مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إني لم أومر بذلك، إن لأنفسكم عليكم
حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأكل اللحم
والدسم، وأتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني (٥٥٨) ونزلت، وروي: أن

٥٥٨ - قال الحافظ بن حجر في تخریج أحادیث الکشاف:

ذكره الواحدي هكذا في أسبابه بغير إسناد. لكن قال المفسرون - فذكره سواه، وقد أورده الطبري
من طريق السدي في هذه الآية قال «وذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً. فذكر الناس ثم قام ولم
يزدهم على التخويف فقام ناس من أصحابه فذكره بمعنى ما تقدم، وهو منتزع من أحاديث، وأصله
في الصحيحين عن عائشة: أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواجه عن عمله في السر.
فقال بعضهم: لا أكل اللحم. وقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا أنام على فراش،
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ولكني أصوم وأفطر. وأنام
وأقوم. وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» وفي الصحيحين عن سعد بن
أبي وقاص قال «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل. ولو أذن له لاختصينا، وفي
الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص في قصة مراجعته النبي ﷺ في الصوم والضلاة فقال
ﷺ «صم وأفطر، وقم ونم. فإن لنفسك عليك حقاً - الحديث» وروى الطبري من طريق ابن جريج
عن مجاهد قال «أراد رجال، منهم عثمان بن مظعون وعبدالله بن عمرو أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم
ويلبسوا المسوح، ومن طريق ابن جريج عن عكرمة «أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن
مسعود والمقداد بن الأسود وسالم - مولى أبي حذيفة - في جماعة من الصحابة تبتلوا فجلسوا في
البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس. وهموا بالاختصاص. =

- (١) قوله «تقشفاً» وفي الصحاح «قشف» بالكسر: قشفاً، إذا أوحته الشمس أو الفقر فتغير. والمتقشف:
الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع. (ع)
- (٢) قوله «ويلبسوا المسوح» المسوح: أكسية غلاظ تعمل منها الغراير للبتن. أفاده الصحاح في مادة
لبس.

رسول الله ﷺ كان يأكل الدجاج (٥٥٩) والفالوذ (٥٦٠)، وكان يعجبه الحلواء والعسل (٥٦١)، وقال: «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة» (٥٦٢)، وعن ابن مسعود أن رجلاً قال له: إني حرمت

واجتمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِي مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكُمْ... الآية﴾ قال: فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وصلوا وناموا. فليس منا من ترك سنتنا». انتهى.

٥٥٩ - أخرجه البخاري (٦١٦/١١) - كتاب كفارات الأيمان (٨٤) - باب الكفارة قبل الحنث وبعده (١٠) (٦٧٢١) ومسلم في صحيحه (١٢٢/٦) - كتاب الأيمان (٢٧) - باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها (٣)(٩).

٥٦٠ - أخرجه الحاكم في المستدرک (١٠٩/٤-١١٠).

وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤/٢).

والخطيب البغدادي في تاريخه (٣٦٨-٣٦٩) (٣١٣).

وابن الجوزي في العلل المتناهي (٦٦٦/٢).

كلهم من طريق الوليد بن مسلم قال حدثني محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده. قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى المربرد...»

وقال الطبراني: لا يروى عن عبد الله بن سلام إلا بهذا الإسناد. تفرد به الوليد بن مسلم وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ - تفرد به الوليد وكان يسقط الضعفاء من الإسناد ويدلس.

قلت: ولذلك فإن قول الحاكم: صحيح الإسناد - فيه نظر، فليتبته -.

٥٦١ - أخرجه البخاري (٤٦٨/٩) - كتاب الأطعمة (٧٠) - باب الحلوى والعسل (٣٢) (٥٤٣١)، ومسلم

(٣٣١/٥) - كتاب الطلاق (١٨) - باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته (٣) (١٤٦٤) (٢١) -

وأبو داود (٣٣٥/٣) - كتاب الأشربة - باب في شراب العسل (٣٧١٥)، والترمذي (٢٧٣/٤) -

كتاب الأطعمة (٢٦) - باب ما جاء في حب النبي ﷺ - الحلواء والعسل (١٨٣١)، وابن ماجه

(١١٠٤/٢) - كتاب الأطعمة (٢٩) باب الحلواء (٣٦) (٣٣٢٣) كلهم من حديث هشام بن عروة

عن أبيه عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ - يحب الحلوى والعسل».

٥٦٢ - ذكره الديلمي في «الفردوس» عن علي بن أبي طالب مرفوعاً «المؤمن حلو يحب الحلاوة...»

والسخاوي في المقاصد (ص ٣٠٨) وعزاه للديلمي عن علي - رضي الله عنه - مرفوعاً وقال: وهو

واو، لكن ثبت أن النبي ﷺ - كان يأكل الحلوى والعسل، وقال الحافظ بن حجر في تخریج

الكشاف:

هذا منتزح من أحاديث. أما أكل الدجاج فمتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري في قصة له.

وأما أكله الفالوذ فرواه الحاكم من حديث عبد الله بن سلام قال «كنت مع النبي ﷺ في أناس من

أصحابه إذا أقبل عثمان بن مظعون ومعه راحلة عليها غرارتان فذكر الحديث - وفيه فطبخ الدقيق

والسمن والعسل حتى نفع ثم أكل، وهو من رواية الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة مضعفاً

وأعله ابن الجوزي بضعف الوليد. وأما «كان يعجبه الحلوى والعسل». فمتفق عليه من حديث همام

عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. وأما الأخير فذكره الديلمي في الفردوس عن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه. انتهى.

الفراش فتلا هذه الآية وقال: «نم على فراشك وكفر عن يمينك» (٥٦٣). وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السنجي وأصحابه، فقعدها على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية، فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا، ولكنه يكره هذه الألوان. فأقبل الحسن عليه وقال: يا فريقد، أتري لعاب النحل يلباب البرّ بخالص السمن يعيبه مسلم، وعنه أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول: لا أؤذي شكره. قال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل، إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ، وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم. قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧] ما عاب الله قوماً وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا، ولا عذر قوماً زواها عنهم فعصوه، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم. أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات. أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً، فهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولاً أولاً لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك، ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقاً، ﴿حَلَالًا﴾: حال مما رزقكم الله، ﴿وَأَنْقُوا لِلَّهِ﴾ تأكيد للتوصية بما أمر به، وزاده تأكيداً بقوله: ﴿الَّذِي أَنْشَأَ بِيهِ مَوْتُونَ﴾: لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْتُمْ مِنْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

٥٦٣ - أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٧/٩) (٩٦٩٣) من طريق عارم أبو التعمان ثنا حماد بن زيد ثنا منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن ابن مقرن سأل عبدالله ابن مسعود فقال: ...

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٧/٦) رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا وغيره رجال الصحيح. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٥٦/١٠) رقم (١٢٤٩٠) من طريق جرير بن حازم أن سليمان الأعمش حدثه عن إبراهيم بن يزيد التخفي به.

ولكن وقع فيها «نعمان بن مقرن» بدلاً من «معقل».

قلت: وهذا خطأ - ولعله تصحيف من التسخار.

وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في تفسيره (١٥٢٤/٤) رقم (٧٧٤) نا حماد بن زيد عن منصور به وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٤٧/٢) لابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وللحديث ألفاظ أخرى وفيه قصة:

أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٣٩٤/٧) رقم (١٣٦٠٤) من طريق حماد عن إبراهيم أن معقل بن مقرن المزني جاء إلى عبدالله فقال: ...

ومن طريق عبدالرزاق أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٧/٩) رقم (٩٦٩١). وقد خالف حماد بن أبي سليمان كلاً من منصور والأعمش فأسقط هماماً وعمراً - ومنصور والأعمش كل واحد منهما أوثق من حماد وقد اجتمعا هنا، فسقطت رواية حماد - والله المستعان.

فَصِيَامٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَثْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ^٤ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

اللغو في اليمين: الساقط الذي لا يتعلق به حكم، واختلف فيه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت: هو قول الرجل: «لا والله، بلى والله» (٥٦٤) وهو مذهب الشافعي، وعن مجاهد: هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها

٥٦٤ - أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٦/١١) - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) - باب ﴿لَا يُؤَايِدُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾ (١٤) - (٦٦٦٣) والتسائي في «التفسير» كما في «أطراف الحمزى» (٢٢١/١٢) (١٧٣١٦) والبيهقي في الكبرى (٤٨/١٠) - كتاب الأيمان - باب لغو اليمين من طريق يحيى القطان، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.
 وتابع يحيى بن سعيد القطان:

مالك فأخرجه في موطنه (٤٧٧/٢) - كتاب النذور والأيمان (٢٢) - باب اللغو في اليمين (٥).
 وعن مالك أخرجه الشافعي في مسنده (٧٤/٢) - كتاب الأيمان والنذور - باب فيما يتعلق باليمين (٢٤٤) والبيهقي (٤٨/١٠).

وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في مصنفه (رقم ١٥٩٥١، ١٥٩٥٢)، والطبري في تفسيره (٢/٢٤٠، ٢٤١) والبخاري في تفسيره (٢٠١/١) من طرق عن عائشة موقوفاً ليس فيه ذكر سبب النزول، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦٩/١) وزاد نسبه لوكيع ومسلم وعبد بن حميد وابن أبي حاتم من طرق عن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية.
 وقال الحافظ في الفتح (٥٥٧/١١):

قال ابن عبد البر: تفرد يحيى القطان عن هشام بذكر السبب في نزول الآية: أ. هـ.
 قلت: وفي ذلك نظر.

فقد تابع يحيى بن سعيد - عيسى بن يونس عن هشام به - عند ابن الجارود في المنتقى (ص ٢٣٢/٢٣٣ رقم ٩٢٥).

وأخرجه أبو داود في سننه (٢٢٣/٣) - كتاب الأيمان والنذور - باب لغو اليمين (٣٢٥٤) وابن حبان في «الموارد» (١١٨٧) وفي صحيحه أيضاً (١٧٦/١٠) (٤٣٣٣).

والبيهقي في الكبرى (٤٩/١٠) من طريق حسان بن إبراهيم، ثنا إبراهيم الضائع عن عطاء في اللغو واليمين قال: قالت عائشة - رضي الله عنها - إن رسول الله - ﷺ قال «هو كلام الرجل...»
 وقال أبو داود: روى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الضائع موقوفاً على عائشة، وكذلك رواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول، وكلهم عن عطاء عن عائشة موقوفاً.

وقال البيهقي (٤٩/١٠) «وكذلك رواه عمرو بن دينار، وابن جريج وهشام بن حسان، عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً».

وقال الحافظ في التلخيص: (٣٠٨/٤) (٢٥٠١) وصحح الدارقطني الوقف. وقال الحافظ في الكشف: أخرجه البخاري ومالك من حديثها دون قوله: «سئلت» ورواه أبو داود من طريق عطاء عنها مرفوعاً وموقوفاً. وصحح الدارقطني الموقوف. انتهى.

بالقصد والنية، وروي أن الحسن - رضي الله عنه - سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال: يا أبا سعيد، دعني أحب عنك فقال [من الطويل]:

وَلَسْتُ بِمَأْخُودٍ بِلُغْوِ تَقْوَلُهُ إِذَا لَمْ تَعَمُدْ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ^(١)

وقرىء: «عقدتم»، بالتخفيف. «وعاقدتم»، والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذة. لأنه كان معلوماً عندهم، أو بنكث ما عقدتم. فحذف المضاف، ﴿فَكَفَّرْتَهُمْ﴾: فكفارة نكثه، والكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي: تسترها، ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِئُونَ﴾: من أقصده، لأن منهم من يسرف في إطعام أهله، ومنهم من يقتدر وهو عند أبي حنيفة - رحمه الله - نصف صاع من برّ أو صاع من غيره لكل مسكين، أو يغديهم ويعشيهم، وعند الشافعي - رحمه الله -: مد لكل مسكين، وقرأ جعفر بن محمد: «أهاليكم»، بسكون الياء، والأهالي: اسم جمع لأهل: كالليلالي في جمع ليلة، والأراضي في جمع أرض، وقولهم: (أهلون) كقولهم (أرضون) بسكون الراء، وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف، كما قالوا: رأيت معد يكرب، تشبيها للياء بالألف، ﴿أَوْ كَسَوْتَهُمْ﴾ عطف على محل (من أوسط)^(٢) وقرىء بضم الكاف، ونحوه: قُدوة في قُدوة، وأسوة في إسوة، والكسوة ثوب يغطي العورة، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: كانت العباءة تجزىء يومئذ، وعن ابن عمر: إزار أو قميص أو رداء أو كساء، وعن مجاهد: ثوب جامع، وعن الحسن: ثوبان أبيضان، وقرأ سعيد بن المسيب واليماني: «أو كأسوتهم»، بمعنى: أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافاً كان أو تقتيراً. لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم، ولكن تواسون بينهم وبينهم. فإن قلت: ما محل الكاف؟ قلت: الرفع، تقديره: أو طعامهم كأسوتهم، بمعنى: كمثّل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياساً على كفارة القتل، وأما أبو حنيفة وأصحابه، فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل. فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت: التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق، بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب، ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾: إحداها، ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: متابعات عند أبي

(١) للفرزدق روي أن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين: فقال الفرزدق: دعني أحب عنك يا أبا سعيد، وقال البيت، أي لست مؤاخذاً باللغو أي الساقط من الكلام. وتعمد: أصله تتعمد، حذف منه إحدى التاءين. وهذا في معنى الاستثناء المنقطع. وعاقدات العزائم: الجازمات، ونسبة الجزم إليها مجاز عقلي.

(٢) قوله «على محل من أوسط قد يقال هذا إنما يناسب القراءة الآتية أو كأسوتهم ولكن عبارة النسفي عطف على إطعام أو على محل من أوسط. ووجهه أن (من أوسط) بدل من (إطعام) والبدل هو المقصود في الكلام اهـ. (ع)

حنيفة - رحمه الله -، تمسكاً بقراءة أبي وابن مسعود - رضي الله عنهما -: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، وعن مجاهد: كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان، ويخير في كفارة اليمين ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور^(١)، ﴿كَثْرَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾ ولو قيل: تلك كفارة أيمانكم، لكان صحيحاً بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة، والمعنى، ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم. فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف، لا بنفس الحلف، والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ فبروا فيها ولا تحنثوا^(٢) أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية، لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله، وقيل: احفظوها بأن تكفروها، وقيل: احفظوها كيف حلفتكم بها، ولا تنسوها تهاوناً بها، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك البيان، ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أعلام شريعته وأحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾﴾

أكد تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد^(٣) منها تصدير الجملة بـ «إنما»، ومنها

(١) قال محمود: «المشار إليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل... إلخ» قال أحمد: بل في هذه الآية وجه لطيف المأخذ في الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقيل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك، وبيان الاستدلال بها أنه جعل ما بعد الحلف ظرفاً لوقوع الكفارة المعتمدة شرعاً، حيث أضاف «إذا» إلى مجرد الحلف. وليس في الآية إيجاب الكفارة حتى يقال: قد اتفق على أنها إنما تجب بالحنث، فتعين تقديره مضافاً إلى الحلف، بل إنما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار، إذ لا يعطي قوله ﴿ذَلِكَ كَثْرَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾ إيجاباً، إنما يعطي صحة واعتباراً، والله أعلم. وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقاً، وإن كانت اليمين على ير والأقوال الثلاثة في مذهب مالك، إلا أن القول المنصور هو المشهور.

(٢) عاد كلامه. قال: «واحفظوا أيمانكم، أي فبروا فيها... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التأويل إشعار بأن الشاك في صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالأحوط، فأرشده الله إلى حفظ اليمين لئلا يفضي أمره إلى أن يلزم في ظاهر الأمر على وجه الاحتياط ما لم يصدر منه في علم الله تعالى، كالذي يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلاً أو أطلقه، فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور. ويحتمل أن يكون في علم الله تعالى أنه إنما حلف بالطلاق مطلقاً، فأرشد إلى الحفاظ لئلا يجره النسيان إلى هذا التشديد. والمراد بالأيمان كل ما ينطلق عليه يمين، سواء كان حلفاً بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكماً والله أعلم.

(٣) قال محمود: «أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد منها... إلخ» قال أحمد: ويجوز عود الضمير إلى الرجس الذي انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم.

أنه قرنهما بعبادة الأصنام، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «شارب الخمر كعابد الوثن» (٥٦٥) ومنها أنه جعلهما رجساً، كما قال تعالى: ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾

٥٦٥ - أخرجه بهذا اللفظ - البزار في مسنده - كما في كشف الأستار (٢٩٢٥).

وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٣٠٥/١) في ترجمة الحسن البصري (٥٢٩). كلاهما من حديث

عبدالله بن عمرو مرفوعاً «شارب الخمر كعابد وثن».

وقال الحافظ ابن حجر: وفيه الخليل بن زكريا، وفي الذي قبله ثابت بن محمد وهو أصلح حالاً

من الخليل. أ. هـ.

قلت: وللحديث شاهد - من حديث أبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وبعض الصحابة

وجابر بن عبدالله.

أما حديث أبي هريرة:

فأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٢٩/١/١) وابن ماجه (٣٣٧٥) وابن الجوزي في العِلَل (١١١٧) والواحدي في «الوسيط» من طرق عن محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

وفي رواية للبخاري عن سليمان بن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن عبدالله عن أبيه قال النبي -

ﷺ - «مدمن خمر...».

وقال: ولا يصح حديث أبي هريرة في هذا.

وقال ابن الجوزي في العِلَل (٦٧٢-٦٧١/٢) - وهذا لا يصح تفرد به محمد بن سليمان قال ابن

عدي: محمد بن سليمان مضطرب الحديث وقد أخطأ في غير أشياء منه. وقال أبو حاتم الرازي:

لا نحتج به، وقال الدارقطني: خالفه سليمان بن بلال فرواه عن سهيل عن محمد بن عبدالله عن

أبيه عن النبي - ﷺ. قال ابن مريم عنه. قال ورواه حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن

عبدالله بن عمرو من قوله... وهذا هو الصحيح والطريق التي قبله لا ثبت. أ. هـ.

حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (٢٧٢/١) عن أسود بن عامر، حدثنا الحسن بن صالح عن محمد بن المنكدر قال:

حدثت عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - «مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن»

وهذا سند رجاله ثقات إلا شيخ ابن المنكدر فهو مجهول لم يسم.

وعبدالرزاق (٢٣٩/٩) (١٧٠٧٠)، وابن الجوزي في العِلَل (١١١٦) عن ابن المنكدر عن ابن

عباس.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦٧/١٢) (٥٣٤٧) وابن الجوزي في العِلَل (١١١٨) من طريق

عبدالله بن خراش بن حوشب قال: حدثنا العوام بن حوشب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس

مرفوعاً «مَن لقي الله...».

وهذا إسناد ضعيف، فبعبده بن خراش هو الشيباني الحوشي، ضعفه أبو زرعة والبخاري والنسائي

والدارقطني وأبو حاتم... وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ.

وقال ابن الجوزي عقبه: وهذا لا يصح فإن العوام مجروح - قال البخاري وعبدالله بن خراش منكر

الحديث، وقال أبو زرعة ليس بشيء. أ. هـ.

قلت: وأخرجه أيضاً البزار (٢٧٧/٢) (٢٩٣٤) والطبراني في الكبير (٤٥/١٢) (١٢٤٢٨) وأبو نعيم

في الحلية (٢٥٣/٩) وابن الجوزي (١١١٩) من طريق ثوبان بن أبي فاختة وحكيم بن جبيرة عن =

[الحج: ٣٠] ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، ومنها أنه أمر بالاجتناب، ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحاً، كان الارتكاب خيبة ومحقة، ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال، وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب^(١) الخمر والقمر، وما يؤديان إليه من الصدّ عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون. أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟ فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿فَأَجْتَنُّوهُ﴾؟ قلت: إلى المضاف المحذوف، كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو

== سعيد بن جبير به .

وثوير بن أبي فاختة وحكيم بن جبير كلاهما ضعيف .
وقد تحرف ثوير إلى يزيد عند الهيثمي ولذلك قال في المجمع (٧٧/٥): رواه أحمد والبيزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن ابن المنكدر قال حدثت عن ابن عباس وفي إسناد الطبراني يزيد بن أبي فاختة ولم أعرفه أ. هـ.
حديث أنس بن مالك:

أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٠٧/٥) (٤٨٠٧) ثنا عبيد بن عبد الله بن جحش قال: حدثنا جنادة بن مروان قال: حدثنا الحارث بن النعمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله - ﷺ يقول «المقيم على الربا كعابد وثن، والمقيم على الخمر كعابد وثن». قال الحافظ: وإسناده ضعيف.

حديث جابر:

أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥١٥/٣).

من طريق المنكدر عن جابر عن النبي - ﷺ «مَن مَدَمَن خَمْر مَات كَعَابِدِ وَثْنٍ».
حديث بعض الصحابة، ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤٢٠/١) (٤٣٣٠) وعزاه لإسحاق ابن راهويه في مسنده.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه البيزار من حديث مجاهد عن عبد الله بن عمرو بهذا. رواه الحارث بن أسامة وأبو نعيم في الحلية من رواية الحسن بن عبد الله بن عمرو به. وفيه الخليل بن زكريا وفي الذي قبله ثابت بن محمد وهو أصلح حالاً من الخليل. ولابن ماجه من حديث أبي هريرة، بلفظ «مدمن خمر كعابد وثن» وإسناده جيد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن سهيل عن أبيه عنه به. ورواه ابن حبان من حديث ابن عباس بهذا اللفظ. وقال الشبه أن يكون فيمن استحلها. وفي مسند إسحاق ومن رواية عمر بن عبدالعزيز عن بعض أصحابه، بلفظ «مَن شَرِب الخمر مَات كَعَابِدِ وَثْنٍ» وللطبراني في الأوسط من حديث أنس بلفظ «المقيم على الخمر كعابد وثن» وإسناده ضعيف. انتهى.

(١) قوله «من أصحاب» لعله بين أصحاب. (ع)

تعاطيهما أو ما أشبه ذلك، ولذلك قال: ﴿رَيْبٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: فإن قلت: لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولاً ثم أفردهما آخراً؟^(١) قلت: لأن الخطاب مع المؤمنين، وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أن ذلك جميعاً من أعمال الجاهلية وأهل الشرك، فوجب اجتنابه بأسره، وكأنه لا مباينة بين من عبد صنماً وأشرك بالله في علم الغيب، وبين من شرب خمرأ أو قامر، ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر، وقوله: ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصاً.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٩٢)

﴿وَاحْذَرُوا﴾: وكونوا حذرين خاشعين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة، ويجوز أن يراد: واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها، ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ما حرم عليهم منها، ﴿وَأَمَنُوا﴾: وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ ثم ثبتوا على التقوى والإيمان، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾: ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات، وقيل: لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر (٥٦٦) فنزلت. يعني أن المؤمنين لا

٥٦٦ - أخرجه أحمد في المسند (٣٥١/٢) ثنا سريج يعني ابن النعمان ثنا أبو معشر عن ابن وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة. قال: قدم رسول الله - ﷺ - وهم يشربون الخمر... فذكره. =

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب... إلخ» قال أحمد: ويرشد إلى أن المقصود الخمر والميسر خاصة، لأنهم إنما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الأخرى وهي قوله ﴿بَسْطُوكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَهُ مِنَ نَفْسِهِمَا﴾ فخصهما بالذكر ولم يثبت النهي عنهما، فلذلك ورد أن قوماً تركوها لما فيها من الإثم، وقوماً بقوا على تعاطيهما لما فيها من المنافع، ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي، والله أعلم.

جناح عليهم في أي: شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم، (ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا)، على معنى: أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح؟ فتقول - وقد علمت أن ذلك أمر مباح -: ليس على أحد جناح في المباح، إذا اتقى المحارم،

= قلت: وهذا إسناد ضعيف.

أفته «أبو معشر» هذا واسمه نجيع بن عبدالرحمن السدي - ضعفه كثير من الأئمة.

قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو داود والنسائي: ضعيف.

وقال أبو زرعة: صدوق في الحديث وليس بالقوى.

وقال عمرو بن علي: وأبو معشر ضعيف، ما روى عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب ومشايخه فهو صالح وما روى عن المقبري وهشام بن عروة ونافع وابن المنكدر روايته لا تكتب، وضعفه الحافظ في التقریب (٢/٢٩٨).

قلت: ووقع تصحيح عند الزيلعي في تخريج الكشاف فقال: رواه أحمد في مسنده ثنا شريح نا أبو معشر... بالشين المعجمة وليس كذلك - وليس هو شريح بن النعمان، راجع ترجمته في تهذيب الكمال (١٢/٤٥٠) فإنه متقدم عن سريح - والله المستعان.

والحديث أخرجه الطبري (٥/٤١١) من وجه آخر، فقال: حدثني المثنى ثنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس... وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٤٢٢) لابن مردويه في تفسيره. وبعض الحديث في الصحيحين: من حديث أنس.

أخرجه البخاري في صحيحه (٥/١٣٣-١٣٤) - كتاب المظالم (٤٦) - باب صب الخمر في الطريق (٢١) حديث رقم (٢٤٦٤) ومسلم (٧/١٦٠) - كتاب الأشربة (٣٦) - باب تحريم الخمر (١)

(١٩٨٠) (٣)، قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد من رواية ابن وهب مولى أبي هريرة قال «حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر. فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ﴾ الآية فقال الناس: لم تحرم علينا، إنما قال: فيها إثم كبير فكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين المغرب، فخلط في قراءته. فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الْمَسْكُوهَ وَأَنْتُمْ مُكْرَهُونَ﴾ فكانوا يشربونها حتى يأتي أحدهم للصلاة وهو مفيق، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ﴾ الآية فقالوا: انتهينا يا رب. وقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان. فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ الآية فقال النبي ﷺ: «لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم»، إسناده ضعيف، فإنه من رواية أبي معشر عن أبي وهب. وأبو معشر ضعيف. وروى الطبري من حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية قالوا: يا رسول الله: ما تقول في إخواننا الذين ماتوا كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر. فأنزل الله الآية وفي المتفق عليه عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر منادياً فنادى: ألا إن الخمر قد حرمت - الحديث» قال بعض القوم: قد قتل فلان وفلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَمِعُوا...﴾ الآية. انتهى.

وكان مؤمناً محسناً، تريد: أن زيدا تقى مؤمن محسن؛ وأنه غير مؤاخذ بما فعل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْبُوكُمُ اللَّهُ يَتَّقُوا مِنْ أَلَيْدِكُمْ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ
بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون، وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذاً بأيديهم وطعنأ برماحهم، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ليميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقى الصيد، ممن لا يخافه فيقدم عليه، ﴿فَمَنْ أَعَدَّى﴾: فصاد، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الابتلاء فالوعيد لاحق به. فإن قلت: ما معنى التقليل والتصغير^(١) في قوله: ﴿يَتَّقُوا مِنْ أَلَيْدِكُمْ﴾؟ قلت: قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالاتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يشبثوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه، وقرأ إبراهيم: يناله، بالياء.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مُسَكِّينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَسْئَلْكُمْ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿حُرْمٌ﴾: محرمون، جمع حرام، كردح في جمع رداح، والتعمد: أن يقتله وهو ذاك لإحرامه، أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله، فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى

(١) قال محمود: «إن قلت ما معنى التقليل والتصغير... إلخ» قال أحمد: وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى ﴿وَلَتَلْبُوكُمُ اللَّهُ يَتَّقُوا مِنْ أَلْيَدِكُمْ يَتَّقُوا مِنَ الْوَقُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَدَثِيرِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر، لأنه صبر على عظيم. فقول الزمخشري إذا «إنه قلل وصغر تنبيهاً على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام» مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها. والظاهر - والله أعلم - أن المراد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتصغير، التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى، وأنه تعالى قادر على أن يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول، وأنه مهما اندفع عنهم مما هو أعظم في المقدور، فإنما يدفعه عنهم إلى ما هو أخف وأسهل، لطفاً بهم ورحمة: ليكون هذا التنبيه باعثاً لهم على الصبر وحاملاً على الاحتمال، والذي يرشد إلى أن هذا مراد أن سبق التواعد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه، فيكون أيضاً باعثاً على تحمله، لأن مفاجأة المكروه بفتنة أصعب، والإنذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه، وحاصل ذلك لطف في القضاء، فسبحان اللطيف بعباده. وإذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا، وجد المتدفع عنه منها أكثر إلى ما لا يقف عند غاية، فنسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور.

صيداً وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد، أو قصد برميهِ غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيداً فهو مخطيء. فإن قلت: فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، فما بال التعمد مشروطاً في الآية؟ قلت: لأن مورد الآية فيمن تعمد؛ فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش، فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله، فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل التعمد، والخطأ لاحق به للتغليظ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: وعن الزهري: نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (٥٦٧) وعن سعيد بن جبير: لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشتراط العمد في الآية (٥٦٨)، وعن الحسن روايتان، ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾: برفع «جزاء» و«مثل» جميعاً، بمعنى: فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد، وهو عند أبي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد. فإن بلغت قيمته ثمن هدى، تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً، فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاع من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً، فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوماً أو تصدق به، وعند محمد والشافعي - رحمهما الله - مثله نظيره من النعم، فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة - رحمه الله - . فإن قلت: فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله: ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ وهو تفسير للمثل، ويقول: ﴿هَدِيًّا يَبْلُغُ الْكَفَّيَّةَ﴾؟ قلت: قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هدياً أو طعاماً أو يصوم، كما خير الله تعالى في الآية. فكان قوله: ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾: بياناً للهدى المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير؛ لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هدياً فأهداه، فقد جزى بمثل ما قتل من النعم. على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدى أو يكفر بالإطعام أو بالصوم، إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار؟ فأما إذا عمد إلى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير - فإذا كان شيئاً لا نظير له قوم حيثئذ، ثم يخير بين الإطعام والصوم - ففيه نبوّ عما في الآية. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ كيف خير بين الأشياء الثلاثة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم، وقرأ عبد الله: فجزاؤه مثل ما قتل، وقرئ: فجزاء مثل -

٥٦٧ - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٣/٥) (١٢٥٦٥) - من طريق هشيم، قال: أخبرني بعض أصحابنا عن الزهري أنه قال:

قلت: وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في مصنفه (٣٩١/٤) (٨١٧٨) - أخبرنا معمر عن الزهري قال: يحكم عليه في العمد - وهو في الخطأ سنة.

٥٦٨ - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٣/٥) (١٢٥٦٧) - من طريق الأعمش عن عمرو بن مرزة. عن سعيد بن جبير قال: إنما جعلت الكفارة في العمد...

ما قتل، على الإضافة، وأصله. فجزاء مثل ما قتل، بنصب مثل بمعنى: فعلية أن يجزى مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: عجبت من ضرب زيد، وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل، فجزاء مثل ما قتل، بنصبهما، بمعنى: فليجز جزء مثل ما قتل، وقرأ الحسن: من النعم. بسكون العين، استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ بمثل ما قتل، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: حكمان عادلان من المسلمين. قالوا: وفيه دليل على أن المثل القيمة، لأنَّ التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة، وعن قبيصة أنه أصاب ظبياً وهو محرم فسأل عمر، فشاور عبد الرحمن بن عوف، ثم أمره بذبح شاة، فقال قبيصة لصاحبه: والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره، فأقبل عليه ضرباً بالدرّة وقال: أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم. قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: فأنا عمر، وهذا عبد الرحمن (٥٦٩)، وقرأ محمد بن جعفر «ذو عدل منكم» أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة، وقيل: أراد الإمام، ﴿هَدْيًا﴾ حال عن «جزاء» فيمن وصفه بمثل، لأنَّ الصفة خصصته فقرّبتة من المعرفة، أو بدل عن مثل فيمن نصبه، أو عن محله فيمن جزه، ويجوز أن ينتصب حالاً عن الضمير في «به»، ووصف هدياً بـ ﴿بَلِّغِ الْكُفْرَةَ﴾ لأنَّ إضافته غير حقيقية، ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم، فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي حنيفة، وعند الشافعي في الحرم. فإن قلت: بم يرفع، ﴿كَفَّارَةٌ﴾ من ينصب جزاء؟ قلت: يجعلها خير مبتدأ محذوف، كأنه قيل: أو الواجب عليه كفارة. أو يقدر: فعلية أن يجزي جزاء أو كفارة. فيعطفها على أن يجزي، وقرئ: أو كفارة طعام مساكين على الإضافة، وهذه الإضافة مبينة، كأنه قيل: أو كفارة من طعام مساكين، كقولك: خاتم فضة، بمعنى خاتم من فضة^(١). وقرأ الأعرج: أو كفارة طعام

٥٦٩ - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٤٠٦/٤-٤٠٧) (٨٢٣٩) عن معمر عن عبدالملك بن عمير قال:

أخبرني قبيصة بن جابر الأسدي قال:

ومن طريق عبدالرزاق أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٣١٠).

وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والبيهقي في السنن الكبرى (١٨١/٥) - كتاب الحج - باب جزاء الصيد بمثله من النعم.

وابن جرير في تفسيره (٤٦/٥) (١٢٥٧٧) من طريق عن عبدالملك بن عمير به مختصراً، وقال

الحافظ في تخريج الكشاف: رواه عبدالرزاق عن معمر عن عبدالملك بن عمير فذكره، وفيه الزيادة

التي في آخره. انتهى.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما زعمه فليس من هذا الباب لأنَّ «خاتم فضة» من باب إضافة الشيء إلى جنسه والطعام ليس جنساً للكفارة إلا بتجويز بعيد جداً انتهى. قلت: كان من حقه أن يقول: والكفارة ليست جنساً للطعام لأن الكفارة في التركيب نظير «خاتم» في أن كلا منهما هو المضاف إلى ما بعده، فكما أن «خاتماً» هو المضاف إلى جنسه ينبغي أن يقال: الكفارة ليست جنساً

مسكين، وإنما وحد، لأنه واقع موقع التبيين، فاكتفى بالواحد الدال على الجنس، وقرئ: أو (عدل ذلك)، بكسر العين، والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام، وعدله ما عدل به في المقدار، ومنه عدلا الحمل، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا، كأن المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المنعول به، كالذبح ونحوه، ونحوهما الحمل والحمل، و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام و﴿بِيَأْمَأُ﴾ تمييز للعدل كقولك: لي مثله رجلاً، والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وعند محمد إلى الحكمين، ﴿يَذْرُقُ﴾ متعلق بقوله: (فجزاء)^(١) أي: فعلية أن يجازى أو يكفر، ليدرق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام، والوبال: المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه، كقوله تعالى: ﴿تَأَخَذْتَهُ أَخْذًا بِيَلًا﴾ [المزمل: ١٦] ثقيلًا، والطعام الوبيل: الذي يثقل على المعدة فلا يستمر، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَفَّ﴾ لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله ﷺ وتسالوه عن جوزه، وقيل: عما سلف لكم في الجاهلية منه، لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي، ﴿فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ﴾ ينتقم: خبر مبتدأ محذوف تقديره. فهو ينتقم الله منه، ولذلك دخلت الفاء، ونحوه ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ، فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] يعني ينتقم منه في الآخرة، واختلف في وجوب الكفارة على العائد، فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن: وجوبها،

للطعام لأجل المقابلة، لكن لا يمكن أن يقال ذلك فإن الكفارة كما تقدم جنس للطعام والجزاء والصوم، فالطريق في الرد على أبي القاسم أن يقال: شرط الإضافة بمعنى «من» أن يضاف جزء إلى كل بشرط صدق اسم الكل على الجزء نحو: «خاتم فضة»، و «كفارة طعام» ليس كذلك، بل هي إضافة «كل» إلى جزء. وقد استشكل جماعة هذه القراءة من حيث إن الكفارة ليست للطعام إنما هي لقتل الصيد، كذا قاله أبو علي الفارسي وغيره، وجوابه ما تقدم ولم يختلف السبعة في جمع «مساكين» هنا وإن اختلفوا في البقرة، قالوا: والفرق بينهما أن قتل الصيد لا يجزئ فيه إطعام مسكين واحد. على أنه قد قرأ عيسى بن عمر والأعرج بنتوين «كفارة» ورفع «طعام مسكين» بالتوحيد، قالوا: ومرادهما بيان الجنس لا التوحيد. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إنما يتأني ذلك حيث يضاف إلى «مثل» أو يُتَوَّن «جزاء» ويُنصَب «مثل»، وغُلِّل ذلك بأنه إذا رفع مثلاً كان صفة للمصدر، وإذا وُصِف المصدر لم يعمل إلا أن يتقدم المعمول على وصفه نحو: «يعجيني الضربُ زيداً الشديد» فيجوز. قلت: وكذا لو جَعَلَهُ بدلاً أيضاً أو خيراً لما تقدم من أنه يلزم أن يتبع الموصول أو يخبر عنه قبل تمام صليته وهو ممنوع، وقد أفهم كلام الشيخ بصريحه أنه على قراءة إضافة الجزاء إلى «مثل» يجوز ما قاله أبو القاسم، وأنا أقول: لا يجوز ذلك أيضاً لأن «ليذوق» من تمام صليته المصدر، وقد غُطِف عليه قوله «أو كفارة أو عدل» فيلزم أن يُعْطَف على الموصول قبل تمام صليته، وذلك لا يجوز لو قلت: «جاء الذي ضربَ وعمروُ زيداً» لم يُجَزْ للفصل بين الصلة - أو أبعاضها - والموصول بأجنبي، فتأمل فإنه موضع حسن. انتهى. الدر المصون.

وعليه عامة العلماء، وعن ابن عباس وشريح: أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر، وأنه لم يذكر الكفارة.

﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعْنَا لَكُمْ فِي السَّيَارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩٦):

﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل، ﴿وَطَعَامُهُ﴾: وما يطعم من صيده والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر^(١)، وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة، وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه، على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه، ﴿مَتَّعْنَا لَكُمْ﴾: مفعول له، أي: أحل لكم تمتيعاً لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] في باب الحال، لأن قوله: ﴿مَتَّعْنَا لَكُمْ﴾ مفعول له مختص بالطعام، كما أن نافلة حال مختصة بـ «يعقوب»، يعني أحل لكم طعامه تمتيعاً لتنائكم^(٢) يأكلونه طرياً، ولسيارتكم يتزودونه قديداً، كما تزود موسى - عليه السلام - الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام، وقرئ: «وطعمه»، وصيد البر: ما صيد فيه، وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات، كطير الماء عند أبي حنيفة، واختلف فيه^(٣) فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد، وهو قول عمر وابن عباس، وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير: أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال، وإن صاده لأجله، إذا لم يدل ولم يشر، وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه - رحمه الله -، وعند مالك والشافعي وأحمد - رحمهم الله -: لا يباح له ما صيد لأجله. فإن قلت: ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله: صيد البر؟ قلت قد أخذ أبو حنيفة - رحمه الله - بالمفهوم من قوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا﴾: لأن ظاهره أنه

(١) قوله «بجميع ما يصاد في البحر» لعله من (ع)

(٢) قوله «تمتيعاً لتنائكم يأكلونه» أي للمتوطنين منكم. يقال: تنأ بالبلد توطنه، فهو تانيء، وهم تناء. أفاده الصحاح، وسيأتي للمفسر في قوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ أن الأناس اسم جمع غير تكسير، نحو رجال وتناء وتؤام. ويجوز أن يقال: إن الأصل الكسر والتكسير، والضمة بدل من الكسرة. (ع)

(٣) قال محمود: «اختلف في المراد بالتحريم... إلخ» قال أحمد: وتخصيص عموم الآية لازم على كلتا الطائفتين؛ لأن مالكا رضي الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر، إذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلا بد إذاً على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص، غاية ذلك أن صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة، تكون أكثر منها على مذهب مالك، لأنه يجيز أكل ما صاده الحلال من أجل المحرم كما نقل عنه، فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة، والله أعلم.

صيد المحرمين دون صيد غيرهم، لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل: وحرم عليكم ما صدتم في البر، فيخرج منه مصيد غيرهم، ومصيدهم حين كانوا غير محرمين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصِّيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ وقرأ ابن عباس - رضي الله عنه -: «وحرم عليكم صيد البر»، أي: الله عز وجل، وقرأ «ما دمتم» بكسر الدال، فيمن يقول، دام يدام.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨)

﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: عطف بيان على جهة المدح، لا على جهة التوضيح، كما تجيء الصفة كذلك^(١)، ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾: انتعاشاً لهم^(٢) في أمر دينهم ودنياهم، ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم، وأنواع منافعهم، وعن عطاء بن أبي رباح: لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم

(١) قال السمين الحلبي: واعترض عليه الشيخ بأن شرط البيان الجمود، والجمود لا يُشعر بمدح، وإنما يُشعر به المشتق، ثم قال: «إلا أن يريد أنه لَمَّا وُصِفَ الْبَيْتُ بِالْحَرَامِ اقْتَضَى الْمَجْمُوعُ ذَلِكَ فِيمَكُنْ». انتهى. الدر.

(٢) قال محمود: «معنى قياماً للناس: انتعاشاً لهم في أمر دينهم ودنياهم... الخ» قال أحمد: وفي هذه الآية ما يبعد تأويلين من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة ﴿لَا تُحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرَ الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ فإن حمل القلائد ثم على ظاهرها، وتأويل صرف الإحلال إلى مواقعها من المقلد - كقوله ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بريد مواقع الزينة، والنهي عن إحلال القلائد يشبهه، كأنه قال: لا تحلوا قلائدها فضلاً عنها - متعذر في هذه الآية، لأنها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياماً للناس من هذه الأمور المعدودة، وقد خص المنة بالبدن في قوله ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُم فِيهَا حَبِيرٌ﴾... الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الأعلى إلى الأدنى، حتى يقع الامتنان بالمقلد ثم بالقلائد، بل ذلك لائق في سياق النهي أن يخرج من النهي عن الأعلى إلى التشديد بالنهي عن الأدنى. وأما التأويل الآخر - وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الإحلال المنهي عنه إليها حقيقة، أي لا تعرضوا للقلائد ولا تنتفعوا بها، كما قال عليه الصلاة والسلام «التي قلائدها في دمها وخل بين الناس وبينها» - فمتعذر أيضاً بما بعد به الذي قبله. وأما التأويل الثالث - وهو حملها على ذوات القلائد - فلا تعلق بالاثنتين فيتمين المصير إليه. ومن ثم لم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواء. ووجه صلاحيته وظهوره فيهما: أن الغرض في سياق النهي إفراده بالذكر وتخصيصه بالنهي، بعد أن اندرج مع غيره في النهي، فكأنه نهى عنه لخصوصيته مرتين. والغرض في سياق الامتنان أيضاً ذلك، وهو تكرير المنة به مندرجاً في العموم ومخصوصاً بالذكر. وأيضاً فيلحق في الامتنان الترفي من الأدنى إلى الأعلى، بخلاف النهي. والله أعلم.

يؤخروا، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: الشهر الذي يؤدي فيه الحج، وهو ذو الحجة، لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأناً قد عزّفه الله تعالى، وقيل: عنى به جنس الأشهر الحرم، ﴿وَالْمَدَى وَالْقَلْبَدَى﴾: والمقلد منه خصوصاً وهو البدن، لأن الثواب فيه أكثر، وبهاء الحج معه أظهر، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى جعل الكعبة قياماً للناس، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره، ﴿لِيَتَلَمَّوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعضكم مما أمركم به وكلفكم، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن انتهك محارمه، ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ لمن حافظ عليها.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾: تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْتَبِيبِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿١٢﴾

البون بين الخييث والطيب بعيد عند الله تعالى^(١) وإن كان قريباً عندكم، فلا تعجبوا بكثرة الخييث حتى تؤثره لكثرتة على القليل الطيب، فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل، لا يوازي النقصان في الخييث، وفرات الطيب، وهو عام في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحة، وصحيح المذاهب وفاسدها، وجيد الناس ورديهم،

(١) قال محمود: «البون بين الخييث والطيب بعيد عند الله... إلخ» قال أحمد: وقد ثبت شرعاً أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة. وقد اعترف للقدرية أنهم قليل فيها، وشذوذ بالنسبة إلى من عداهم من الطوائف والأمر بهذه المثابة، وهم أيضاً يعتقدون أنهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لا غيرهم، إذ كل من عداهم - على طمعهم الفاسد - مخلد في النار مع الكفار، فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة، وحاشا لله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل، مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب. ومن هم المعتزلة حتى يترامى طمعهم على هذا الحد؟ وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزمخشري من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلي. من قبيل القول بأن المراد في قوله تعالى ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أهل الحديث وأصحاب الرأي، بعني الحقيقة. وقد أغاظ في تفسير هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع، وها هو قد ابتدع قريباً منه في حمله الطيب في هذه الآية على الفريق المعتزلي. بل والله شرأ من تلك المقالة، لأنه حمل الخييث على من عداهم من الطوائف السنية، نعوذ بالله من ذلك، ونبرأ من تجرئه على السلف والخلف.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: وآثروا الطيب، وإن قل، على الخبيث وإن كثر، ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة^(١) إذا افتخروا بالكثرة؛ كما قيل: [الطويل]
وَكَاثِرٌ بِسَعْدٍ إِنْ سَعْدٌ كَثِيرَةٌ وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وِفَاءً وَلَا نَضْرًا^(٢)
وكما قيل [من البسيط]:

لَا يَدْهَمُكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ فَإِنْ جُلَّهُمْ بَلْ كُلُّهُمْ بَقْرٌ^(٣)
وقيل: نزلت في حجاج اليمامة، حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم، فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين.

﴿يَكْتُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا جِئَ يُنَزَّلُ
الْقُرْءَانَ يُبَدِّ لَكُمْ عَمَّا ءَلَّهَ عَنْهَا ءَلَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ
أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٧﴾﴾

الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله: ﴿إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا جِئَ يُنَزَّلُ
الْقُرْءَانَ يُبَدِّ لَكُمْ﴾ صفة للأشياء، والمعنى: لا تكثروا مسألة رسول الله ﷺ حتى تسألوه عن
تكاليف شاقة عليكم، إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال
عنها، وذلك نحو ما روي: أن سراقه بن مالك أو عكاشة بن محصن قال: يا رسول الله،
الحج علينا كل عام؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد مسأله ثلاث مرات، فقال ﷺ:
«ويحك! ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو
تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»

(١) قوله «أن تكفح بها وجوه المجبرة» يعني أهل السنة. وهذا غلو من العلامة في التعصّب للمعتزلة،
وما كان ينبغي أن يكون منه، لعدم الداعي إليه هنا. (ع)

(٢) «سعد» اسم قبيلة. والمعنى: أنه لا نفع فيهم إلا تكثير سواد الجيش، فلا يوفون بما وعدوا من
النصر، ولا ينصرون بلا وعد. ويمكن أن المراد الوفاء بحق الشجاعة. فالنصر تفسير. وفي تكرير
الاسم نوع تهكم.

(٣) لم يبق من جل هذا الناس باقية ينالها الوهم إلا هذه الصور
لا يدهمك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقرة
لأبي تمام. يقال: دهمه الأمر، إذا غشيه فحيره وسد عليه باب الرأي. والدهماء: الجماعة الكثيرة
المتكاثفة، وأصله من الدهمة وهي الظلمة والسواد. يقول: لم يبق من معظم هذا الجمع من الناس
بقية يدركها الوهم بعد التأمل، إلا هذه الصور والأجسام المشاهدة، مجردة على العقول، فلا تفرغ
من كثرة عدد جماعتهم، فإن معظمهم كالبقرة، بل جميعهم كذلك، فلا تدبير عندهم لأمر الحرب.

(٥٧٠)، ﴿وَإِنْ كَسَبْتُمْ عَلَيْهَا جُنُوحًا فَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ ذُنُوبًا﴾ : وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان

٥٧٠ - قال الحافظ ابن حجر: هذا السياق لم أجده لا عن سراقه ولا عن عكاشة. قلت: وأخرج مسلم في صحيحه (٤٠٦/٤ - نووي) - كتاب الحج (١٥) - باب بيان وجوه الإحرام (١٧) (١٢١٦/١٤١)، من حديث جابر الطويل، وفيه. فقال سراقه بن مالك بن جُعشم: يا رسول الله! ألغائنا هذا أم لأبد؟ فقال «لأبد».

وهو عند البخاري من وجه آخر (١٦٣/٥) - كتاب الشركة (٤٧) - باب الاشتراك في الهدى والبُذُن. (١٥) (٢٥٠٥، ٢٥٠٦).

والنسائي (١٧٨/٥) - كتاب الحج - باب إباحة فسخ الحج بعمره لمن لم يسق الهدى (٢٨٠٥) وابن ماجه (٩٩٣-٩٩٢/٢) - كتاب المناسك (٢٥) - باب فسخ الحج (٤١) (٢٩٨٠) وأخرجه النسائي من حديث سراقه بن مالك (١٧٨/٥).

وأحمد كذلك في المسند (١٧٥/٤) - كلاهما من طريق محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن الملك بن ميسرة عن طاوس عن سراقه بن مالك بن جُعشم أنه قال: وحديث عكاشة بن محصن:

فرواه ابن جرير في تفسيره (٨٤/٥) (١٢٨١٠) من حديث أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله - ﷺ - فذكره.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩٢/٢) لأبي الشيخ وابن مردويه. وقال ابن حجر: وهو أقرب إلى سياق المصنف دون ما في آخره مما ذكره المصنف. قلت: وحديث أبي هريرة.

أخرجه مسلم في صحيحه (١١١/٥) - كتاب الحج (١٥) - باب فرض الحج مرة في العمر (٧٣) (٤١٢/١٣٣٧).

والنسائي (١١١-١١٠/٥) - كتاب مناسك الحج (٢٤) - باب وجوب الحج (١) (٢٦١٩) وكلاهما لم يسم الرجل السائل.

وله شاهد من حديث أنس. أخرجه ابن ماجه (٩٦٣/٢) - كتاب المناسك (٢٥) - باب فرض الحج (٢) (٢٨٨٥) ولم يسم الرجل أيضاً ورجاله ثقات.

وفي الباب أيضاً حديث علي وليس فيه تسمية الرجل. أخرجه الترمذي (١٦٩/٣) - كتاب الحج (٧) - باب ما جاء كم فرض الحج (٨١٤) وقال: حديث عليّ حديث حسن غريب.

والحاكم في المستدرک (٢٩٤-٢٩٣/٢). قلت: ووقع تسمية السائل في حديث ابن عباس.

أخرجه أحمد في المسند (٢٥٥/١) من طريق سليمان بن كثير أبي داود الواسطي قال: سمعت ابن شهاب يحدث عن أبي سنان عن ابن عباس قال: خطبنا يعني رسول الله - ﷺ - فقال «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» قال: فقام، الأقرع بن حابس...

وأبو داود (١٣٩/٢) - كتاب المناسك - باب فرض الحج (١٧٢١).

والنسائي (١١١/٥) - كتاب مناسك الحج (٢٤) - باب وجوب الحج (١) (٢٦٢٠). وابن ماجه (٩٦٣/٢) - كتاب المناسك، باب فرض الحج (٢٨٨٦).

=

الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه ، تبد لكم . تلك التكاليف الصعبة التي تسوكم ، وتؤمروا بتحملها ، فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ، ﴿عَمَّا اللَّهُ عَنَّا﴾ : عفا الله عما سلف ، من مسألتكم ، فلا تعودوا إلى مثلها ، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ : لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته . فإن قلت : كيف قال : ، ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ ثم قال : ﴿قَدْ

= والبيهقي في السنن الكبرى (٣٢٦/٤) - كتاب الحج - باب وجوب الحج مرة واحدة قلت : ووقع في تفسير ابن جرير (٨٣/٥) (١٢٨٠٩) .

من حديث أبي هريرة - وفيه «فقام محصن الأسدي فقال : أفي كل عام . . .» .

ولعله «سقط» فإني لم أجد في الصحابة من اسمه «محصن الأسدي» .

واسم «عكاشة» كما في الإصابة «عكاشة بن محصن الأسدي» .

قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف : هذا السياق لم أجد له لا عن سراقه ولا عن عكاشة . فأما سراقه فروى مسلم من حديث جابر الطويل في صفة الحج . فقال سراقه بن مالك بن جُعْثَمُ يا رسول الله . لعامنا هذا . أم للأبد؟ قلت : وهو عند البخاري أيضاً من وجه آخر عن جابر ، والنسائي وابن ماجه من حديث سراقه بن مالك نفسه أنه قال للنبي ﷺ «يا رسول الله ، عمرتنا هذه لعامنا أم للأبد؟ فقال : بل للأبد . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» وأما عكاشة بن محصن فرواه الطبري وابن مردويه من طريق محمد بن زياد : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول «خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس . كتب عليكم الحج ، فقال عكاشة بن محصن الأسدي : أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال : أما أنا لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت ثم تركتم لضللتكم . اسكتوا عني ما سكت عنكم إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فأنزل الله ﴿يَأْتِيَنَّكَ أَلْيُتُكُمُ الَّذِينَ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَابِكُمْ﴾ الآية وهو أقرب إلى سياق المصنف ، دون ما في آخره بما ذكره المصنف فهو في الحديث الآتي . وأخرج الطبري من طريق أبي إسحاق الهجري عن ابن عباس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَقَالَ رَجُلٌ : كُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى أَعَادَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . فَقَالَ : مَنْ السَّائِلُ؟ فَقِيلَ فُلَانٌ . فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَوْ وَجِبَتْ مَا أَطَقْتُمُوهُ . وَلَوْ تَرَكْتُمُوهُ لَكَفَرْتُمْ» . فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يَأْتِيَنَّكَ أَلْيُتُكُمُ الَّذِينَ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَابِكُمْ﴾ وأخرج أيضاً من طريق معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي أمامة أنه سمعه يقول «قام رسول الله ﷺ في الناس وقال : كتب عليكم الحج فقام رجل من الأعراب - فذكر الحديث ، وفيه فقال : ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم . والله لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت لكفرتم . وأما بقيته فبيما أخرجه مسلم من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة «خطبنا رسول الله ﷺ . فقال : أيها الناس فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال : «لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم . ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة - سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» ، وقد سأل عن الحج الأقرع بن حابس فعند بعض السنن من حديث ابن عباس «أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ فَقَالَ : مَرَّةً وَاحِدَةً . فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . فَسَمَى الرَّجُلَ مَحْصَنًا الْأَسَدِيَّ . وَعِنْدَ غَيْرِهِ عَكَاشَةَ بْنَ مَحْصَنٍ . انْتَهَى .

سَأَلَهَا ﴿ ولم يقل . قد سألت عنها؟ قلت: الضمير في، ﴿سَأَلَهَا﴾: ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بـ «عن»، وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها، ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾ يعني قد سألت قوم هذه المسألة من الأولين، ﴿ثُمَّ أَسْبَحُوا بِهَا﴾ أي: بمرجوعها أو بسببها ﴿كافرين﴾^(١) وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبيائهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١٣﴾﴾

كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذننها، أي: شقوها وحرّموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعني لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وقيل: كان الرجل إذا اعتق عبداً قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لألتهم. فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لألتهم، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى، ﴿مَا جَعَلَ﴾: ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسيب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم ما حرّموا، ﴿يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يتجه قولهما إلا على حذف مضاف، وقد صرح به بعض المفسرين، أي: قد سألت أمثالها أي: أمثال هذه المسألة أو أمثال هذه السؤالات». وقال الحوفي في «سألها»: «الظاهر عود الضمير على «أشياء» ولا يتجه حملُه على ظاهره لا من جهة اللفظ العربي ولا من جهة المعنى، أمّا من جهة اللفظ فلأنه كان ينبغي أن يُعَدَى بـ «عن» كما عُدّي في الأول، وأمّا من جهة المعنى فلأنّ المسنول عنه مختلف قطعاً، فإنّ سؤالهم غير سؤال مَنْ قبلهم، فإنّ سؤال هؤلاء مثل مَنْ سأل: ابن ناقتي وما في بطن ناقتي، وابن أبي وابن مدخلي؟ وسؤال أولئك غير هذا نحو: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مَاءً دَبَّ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ لَآئِلَها﴾ ونحوه. وقال الواحدي: - ناقلاً عن الجرجاني - «وهذا السؤال في هذه الآيات يخالف معنى السؤال في قوله: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ» وإنّ تَسْأَلُوا عنها» ألا ترى أنّ السؤال في الآية الأولى قد عُدّي بالجار، وها هنا لم يُعَدّ بالجار، لأنّ السؤال ها هنا طلب لعين الشيء نحو: «سألتك درهماً» أي طلبته منك، والسؤال في الآية الأولى سؤال عن حال الشيء وكيفيته، وإنما عَطَفَ بقوله «قد سألتها قوم» على ما قبلها وليست بمثلها في التأويل، لأنه إنما نهاهم عن تكليف ما لم يكلفوا، وهو مرفوع عنهم» قلت: ويجوز أن يعود على «أشياء» لفظاً لا معنى كما قال النحويون في مسألة: «عندي درهم ونصفه» أي: ونصف درهم آخر. انتهى. الدر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولَٰئِكَ

كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

الروا في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار، وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم، ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

فَمِنِّيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾﴾

كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقبل لهم، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: وما كلفتم من إصلاحها والمشى بها في طرق الهدى، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، كما قال عز وجل لنبية عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا﴾ [فاطر: ٨] وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي، ولا يزال يذكر معاييبهم ومناكيرهم. فهو مخاطب به، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه، وعن ابن مسعود: أنها قرئت عنده فقال: إن هذا ليس بزمانها^(١) إنها اليوم مقبولة، ولكن يوشك أن يأتي زمان تآمرون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم (٥٧١)، فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه، وبسط لعذره، وعنه: ليس هذا زمان تأويلها. قيل: فمتى؟ قال: إذا جعل دونها السيف والوسط والسجن (٥٧٢). وعن أبي ثعلبة الخشني: أنه سئل عن ذلك

٥٧١ - أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١٩٩/١) عن معمر عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ الآية - فذكره.

وسعيد بن منصور في تفسيره (١٦٦٠/٤) (٨٤٩) نا خالد بن عبدالله عن يونس عن الحسن عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ ومن طريقه أخرجه:

الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥١/٩) (٩٠٧٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢/٧) «رجال الصالحين إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩٥/٥) (١٢٨٥٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن يونس عن الحسن قال: قال رجل لابن مسعود.

وذكره السيوطي في الدر المشور (٥٩٩/٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

٥٧٢ - أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٦٥٦/٤) (٨٤٤) قال: نا هشيم نا جوير عن الضحاك عن =

(١) قوله «ليس بزمانها إنها» لعل هذا الضمير للنصيحة المفهومة من السياق. (ع)

فقال للسائل: سألت عنها خبيراً. سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا ما رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك ودع أمر العوام، وإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنّ كقبض على الجمر، للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» (٥٧٣). وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له: سفهت آباءك، ولا موه. فنزلت، ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: عليكم: من

= ابن مسعود في قوله عزّ وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾ فذكره.

قلت: وهذا إسناد ضعيف وفيه علتان.

الأولى: ضعف «جوير» وهو ابن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي. قال ابن معين: «ليس بشيء»، وسأل عبدالله علي بن المديني أباه عنه: فضغفه جداً، وقال النسائي وعلي بن الجندب والدارقطني «متروك»، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي. أ. هـ. من الجرح والتعديل (٥٤١-٥٤٠/٢) رقم (٢٢٤٦)، والتهذيب (١٢٣/٢-١٢٤) رقم (٢٠٠) وقال الحافظ في التقریب (١٣٦/١) (١٣١) ضعيف جداً.

الثانية: الانقطاع بين الضحاك وابن مسعود.

قال أبو زرعة الرازي. الضحاك لم يسمع من ابن عمر شيئاً. وقال: ولم يسمع من ابن عباس. المراسيل لابن أبي حاتم (٩٦)، وقال ابن حجر في «التهذيب»، قال العجلي: ثقة وليس بتابعي (٤٥٤/٤) وقال في التقریب (٣٧٣/١) (١٧) صدوق كثير الإرسال.

والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٢) لعبد بن حميد.

٥٧٣ - أخرج أبو داود (١٢٣/٤) - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي (٤٣٤١) والترمذي (٢٥٧/٥) - كتاب التفسير (٤٨) - باب تفسير سورة المائدة (٣٠٥٨) وابن ماجه (١٣٣٠/٢) - كتاب الفتن (٣٦) - باب قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٤٠١٤) والحاكم في مستدرکه (٣٢٢/٤).

وعنه البيهقي في الكبرى (٩٢٠٩١/١٠) - كتاب آداب القاضي.

وأبو نعيم في الحلية (٣٠/٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٥) (١٠٩١٠٨/٢) وابن جرير الطبري في تفسيره (٩٧/٥) (١٢٨٦٦) وابن نصر في السنة (١٤) (٣٢) كلهم من طريق عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي حدثني أبو أمية الشعماني قال... وتصحفت عند الحاكم «جارية» إلى «حارثة» فليتبته.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وأقره الذهبي.

قلت: وفي كلام الحاكم نظر.

عتبة بن أبي حكيم مختلف فيه، ووصفه الحافظ في «التقریب» بقوله «صدوق يخطيء كثيراً، وعمرو بن جارية وأبو أمية القباني واسمه يحمّد وقيل عبدالله بن ضامر - ذكرهما ابن حبان في الثقات وروى عنهما أكثر من واحد وقال الحافظ في كل واحد منهما «مقبول».

ولبعضه ما يشهد له. من حديث عبدالله عمرو بن العاص.

عند أحمد في المسند (١٦٢/٢)، وأبي داود (١٢٣/٤) - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي (٤٣٣٢).

= ولفظ أحمد قال: قال لي رسول الله ﷺ - كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس قال: قلت يا

أسماء الفعل، بمعنى: الزموا إصلاح أنفسكم، ولذلك جزم جوابه، وعن نافع: عليكم أنفسكم، بالرفع، وقرئ «لا يضرركم» وفيه وجهان^(١) أن يكون خبراً مرفوعاً وتنصره قراءة أبي حيوة، «لا يضيركم»؛ وأن يكون جواباً للأمر مجزوماً، وإنما ضمت الراء إتباعاً لضممة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة، والأصل: لا يضرُّركم، ويجوز أن يكون نهياً، ولا يضرركم، بكسر الضاد وضمها: من ضاره يضيره ويضوره.

 = رسول الله كيف ذلك «إذا مرحت عهدهم وأماناتهم وكانوا هكذا وشبك يونس - أحد رجال السند - بين أصابعه يصف ذلك قال: قلت ما أصنع عند ذلك يا رسول الله - قال: أتق الله عزَّ وجلَّ وتُحذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصتك وإياك وعوامهم» وتقول «إن من ورائكم أيام الصبر...».

له شاهد من حديث مازن بن صعصعة.
 أخرجه ابن نصر المروزي في السنة (١٤) (٣٢).
 من طريق عبدالله بن يوسف التنيسي ثنا خالد بن يزيد بن صبيح المري عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن رسول الله - ﷺ - قال «إن من ورائكم...».

قلت: وهذا إسناد صحيح إلا أن فيه انقطاعاً، فإن إبراهيم بن أبي عبلة لم يدرك عتبة بن غزوان تهذيب الكمال (٣١٧/١٩) (٣٧٨١).

والطبراني في الأوسط (١٠٠/٤) (٣١٤٥) حدثنا بكر قال: حدثنا عبدالله بن يوسف به.
 وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٨٥)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن شيخه بكر بن سهل عن عبدالله بن يوسف وكلاهما قد وثق وفيهما خلاف. أ. هـ.
 وله شاهد أيضاً من حديث عبدالله بن مسعود.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/٢٢٥) (١٠٣٩٤)، من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ثنا سهل بن عثمان البجلي ثنا عبدالله بن نمير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود عن النبي - ﷺ - قال: «إن من ورائكم...».

ورواه البزار (١/٣٧٨) بنحوه من طريق أحمد بن عثمان به إلا أنه قال سهل بن عامر البجلي: وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٨٥) رواه البزار والطبراني بنحوه... ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان.

قال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي من رواية عبدالله بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الصنعاني قال «أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قوله تعالى ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر» - وذكره: وقال فيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام - وقال في آخره: مثل عملكم، قال ابن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «لا، بل منكم»، وأخرجه ابن حبان والحاكم وإسحاق وأبو يعلى والطبراني. انتهى.

(١) قوله «لا يضرركم، وفيه وجهان» يعني بالرفع، وهو يفيد أن القراءة الأصلية بالنصب. (ع)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَّصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرَبْتُمْ لَا تَشْرَى بِهِ سَمًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدْتَهُمَا وَمَا آعْتَدْنَا إِيَّاكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٧﴾ ذَلِكَ أَذَقْنَا أَن يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

ارتفع اثنان على أنه خير للمبتدأ الذي هو، ﴿شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ على تقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين. أو على أنه فاعل «شهادة بينكم» على معنى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان: وقرأ الشعبي: «شهادة بينكم» بالتثوين، وقرأ الحسن: «شهادة»، بالنصب والتثوين على: ليقم شهادة اثنان، و﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرف للشهادة، و﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه، إيداله منه دليل على وجوب الوصية، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها، وحضور الموت: مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل، ﴿مِّنكُمْ﴾: من أقاربكم، و﴿مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾: من الأجانب، ﴿إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم، فاستشهدوا أجنبيين على الوصية، وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وما هو أصلح^(١) وهم له أنصح، وقيل ﴿مِّنكُمْ﴾ من المسلمين، و﴿مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾: من أهل الذمة، وقيل: هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلّة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر، وعن مكحول: نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] وروي: أنه خرج بُدَيْل بن أَبِي مَرِيَم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين، مع عدي بن زيد وتميم بن أوس - وكانا نصرانيين - تجاراً إلى الشام، فمرض بديل وكتب كتاباً فيه ما معه، وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه، وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله، ومات ففتشا متاعه، فأخذوا إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب، فغيباه، فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء، فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت، ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾: تقفونهما وتصبرونهما للحلف^(٢) (٥٧٤)، ﴿مِّنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾: من بعد صلاة

٥٧٤ - أخرجه الترمذي (٢٥٩٠/٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٩) من طريق =

(١) قوله «وبما هو أصلح» لعلة «وبما هو له أصلح». ع
(٢) قوله «وتصبرونهما للحلف» أي تحسبونهما. أفاده الصحاح. (ع)

العصر، لأن وقت اجتماع الناس، وعن الحسن: بعد صلاة العصر أو الظهر؛ لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما، وفي حديث بديل: أنها لما نزلت صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر، فحلفا، ثم وجد الإناء بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي، وقيل: هي صلاة أهل الذمة، وهم يعظمون صلاة العصر، ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾: اعتراض بين القسم والمقسم عليه، والمعنى: إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما، وقيل: إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما، وعن عليّ - رضي الله عنه -: أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما (٥٧٥) والضمير في، ﴿بِهِ﴾ للقسم، وفي، ﴿كَانَ﴾ للمقسم له يعني: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا، أي: لا نحلف كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريباً منا، على معنى: أن هذه عادتهم في

 = محمد بن إسحاق عن أبي النضر عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس عن تميم الداري به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر وقد تركه أهل الحديث وهو صاحب التفسير، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر ولا نعرف لسالم أبي النضر المدني رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ وقد روى عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه. أ. هـ.

ثم أخرجه الترمذي (٢٥٩/٥) رقم (٣٠٦٠) من طريق عبد الملك بن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مختصراً.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الترمذي من رواية ابن إسحاق عن أبي النضر وهو محمد بن السائب الكلبي عن بادار، يعني أبا صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس عن تميم الداري رضي الله عنهم. فذكره وقال: ليس إسناده بصحيح وأخرجه البخاري وأبو داود مختصراً. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» فأما تحليف الشاهد فلم أره... أ. هـ.

قلت أما تحليف الراوي فهو ثابت عن عليّ.

٥٧٥ - أخرجه أبو داود (١٥٢١) والترمذي (٣٠٠٩) وابن ماجه (١٣٩٥) وأحمد (١٠/١) والحميدي (١/٤) وأبو يعلى رقم (١) وابن حبان (٦١١) لهم من طريق أسماء بن الحكم الفزاري عن عليّ قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديث نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني غيري لم أصدقه إلا أن يحلف فإذا حلف صدقته.

وقال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: فأما تحليف الشاهد. فلم أره. وأما تحليف الراوي فرواه أصحاب السنن الثلاثة: البزار وابن حبان من رواية أسماء بن الحكم الفزاري عن عليّ رضي الله عنه قال «إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته قال: وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - الحديث، قال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وروى بعضهم هذا الحديث موقوفاً، أي المتن دون القصة. وقال البزار: أسماء هذا مجهول. انتهى.

صدقهم وأمانتهم أبداً، وأنهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿شَهَدَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها، وعن الشعبي أنه وقف على شهادة، ثم ابتداءً بالله بالمد، على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه، وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: الله لقد كان كذا، وقرئ: «لملائمين» بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها، كقوله: عاد لولي، فإن قلت: ما موقع (تحبسونهما)؟ قلت: هو استثناء كلام، كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما، فكيف نعمل إن ارتبنا بهما، فقيل: «تحبسونهما» فإن قلت: كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة؟ قلت: لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها، أغنى ذلك عن التقييد، كما لو قلت في بعض أئمة الفقه: إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر، ويجوز أن تكون اللام للجنس، وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفاً في النطق بالصدق، ونهاية عن الكذب والزور ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [المنكبات: ٤٥]، ﴿فَإِنْ أُعْزِرَ﴾: فإن اطلع، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: فعلاً ما أوجب إثمًا، واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين، ﴿فَأَخْرَانِ﴾: فشهدان آخران، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: أي: من الذين استحق عليهم الإنم. معناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرتهم، وفي قصة بديل: أنه لما ظهرت خيانة الرجلين، حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما، وأن شهدتهما أحق من شهدتهما. ﴿الْأَوْلِيَيْنِ﴾: الأحقان بالشهادة لقرايتهما ومعرفتهما، وارتفاعهما على: هما الأوليان كأنه قيل: ومن هما؟ فقيل: الأوليان، وقيل: هما بدل من الضمير في «يقومان»، أو «من آخران»، ويجوز أن يرتفعاً بـ «استحق»، أي: من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لأطلاعهم على حقيقة الحال، وقرئ «الأولين» على أنه وصف للذين استحق عليهم، مجرور، أو منصوب على المدح، ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها، وقرئ: «الأولين»^(١)، على التثنية، وانتصابه على المدح، وقرأ الحسن: «الأولان»، ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي، وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك. فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما، فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء. فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ (استحق عليهم الأوليان) على البناء للفاعل، وهم علي: وأبي وابن عباس؟ قلت: معناه من الورثة الذي استحق عليهم الأوليان

(١) قوله «وقرئ الأوليين» لعله «الأولين» فليحذر. (ع)

من بينهم بالشهادة، أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تقدم من بيان الحكم، ﴿أَدْنَى﴾ أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة، ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَيَّ وَجْهًا أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ﴾: أن تكرر^(١) أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم، فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل. . . ﴿وَأَسْمَعُوا﴾: سمع إجابة وقبول.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُيُوبَ﴾^(٢) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُرِيئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٦﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ بدل من المنصوب^(٢) في قوله: (واتقوا الله) وهو من بدل الاشتمال، كأنه قيل: واتقوا الله يوم جمعه. أو ظرف لقوله: (لا يهدي)^(٣) أي: لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم. أو ينصب على إضمار: اذكر. أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت، و﴿مَاذَا﴾: منتصب بـ «أجبتهم»^(٤) انتصاب مصدره، على معنى: أي إجابة أجبتهم، ولو أريد الجواب لقليل: بماذا أجبتهم؟ فإن قلت: ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم، كما كان سؤال الموءودة توبيخاً للوائد. فإن قلت: كيف يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ وقد علموا بما أجيبوا؟ قلت: يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم^(٥) وكابدوا من سوء إجابتهم، إظهاراً للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم، وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم، ومثاله: أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم

(١) قوله «أن تكرر أيمان شهود» في الصحاح «الكرر الرجوع. يقال: كره، وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى. (ع)

(٢) قال محمود: «يوم يجمع بدل من المنصوب... إلخ» قال أحمد: ويكون انتصابه إذا انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه.

(٣) عاد كلامه. قال: «أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين... إلخ» قال أحمد: وهو على هذا أيضاً مفعول به.

(٤) عاد كلامه. قال: «وماذا منتصب بأجبتهم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة... إلخ» قال أحمد: والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل: ما حصل إلا بعد الشيء والتلثيا.

(٥) قوله «بما منوا به منهم» أي ابتلوا. وفي الصحاح «منيته» و«منوته» إذا ابتليته. (ع)

على الانتصار له منه، فيجمع بينهما ويقول له: ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به، يريد توبيخه وتبكيته، فيقول له: أنت أعلم بما فعل بي تفويضاً للأمر إلى علم سلطانه، واتكالاً عليه، وإظهاراً للشكاية، وتعظيماً لما حلّ به منه، وقيل: من هول ذلك اليوم ينزعون ويذهلون^(١) عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أمهم، وقيل: مناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به، لأنك علام الغيوب، ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم، فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك، وقيل: لا علم لنا بما كان منهم بعدنا، وإنما الحكم للخاتمة، وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين، وقرئ: «علام الغيوب» بالنصب^(٢) على أنّ الكلام قد تم بقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ أي: إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب (علام الغيوب) على الاختصاص، أو على النداء، أو هو صفة لاسم إن^(٣)، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ بدل من (يوم يجمع) والمعنى: أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجاباتهم، وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام، فكذبوهم وسموهم سحرة. أو جاوزوا حدّ التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة، كما قال بعض بني إسرائيل

- (١) عاد كلامه. قال: «وقيل من الهول والفرع يذهلون عن الجواب... إلخ» قال أحمد: وأيضاً فالمستول عنه إجابتهم عند دعائهم إياهم إلى الله، لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل، والله أعلم.
- (٢) عاد كلامه. قال: «وقرئ علام الغيوب بالنصب... إلخ» قال أحمد: ويكون هذا من باب [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري وشعري

- وقد مر قبل أبيات. وإنما ذكرت هذه الثلاثة من الإعراب لالتباسها إلا على الحداق وقليل ما هم.
- (٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو على حذف الخبر لفهم المعنى، فتمّ الكلام بالمقدّر في قوله «إِنَّكَ أَنْتَ» أي: إِنَّكَ الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره» ثم قال: «قال الزمخشري: ثم انتصب فذكره إلى آخره» فزعم أنّ الزمخشري قدّر لـ «إِنَّكَ» خبراً محذوفاً، والزمخشري لا يريد ذلك ألبتة ولا يرتضيه، وإنما يريد أنّ هذا الضمير بكونه لله تعالى هو الدالّ على تلك الصفات المذكورة لا انفكاك لها عنه، وهذا المعنى هو الذي تقتضيه البلاغة والذي غاص عليه أبو القاسم، لا ما قدّره الشيخ مؤهماً أنه أتى به من عنده. ويعني بالاختصاص النصب على المدح لا الاختصاص الذي هو شبيه بالنداء، فإن شرطه أن يكون حشواً.
- ولكنّ الشيخ قد ردّ على أبي القاسم قوله «إنه يجوز أن يكون صفة لاسم «إِنَّ» بأن اسمها هنا ضمير مخاطب، والضمير لا يوصف مطلقاً عند البصريين، ولا يوصف منه عند الكسائي إلا ضمير الغائب لإيهامه في قولهم «مررت به المسكين» مع إمكان تأويله بالبدل وهو ردّ واضح، على أنه يمكن أن يقال أراد بالصفة البدل وهي عبارة سيبويه، يُطلق الصفة ويريد البدل فله أسوة بإمامه واللازم مشترك، فما كان جواباً عن سيبويه كان جواباً له، ولكن ينفى فيه البدل بالمشتق وهو أسهل من الأول. ولم أرهم خزجوها على لغة من ينصب الجزأين بـ «إِنَّ» وأخواتها. انتهى. الدر المصون.

فيما أظهر على يد عيسى - عليه السلام - من البيئات والمعجزات ﴿هَذَا سِحْرٌ شَيْئٌ﴾ [الأحقاف: ٧] واتخذهم بعضهم وأمه إلهين، ﴿أَيَّدْتُكَ﴾: قوتك، وقرىء: «أيدتك»، على أفعلتك، ﴿يُرُوجُ الْقُدْسُ﴾: بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس، لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿تُكْفِّرُ النَّاسَ﴾: و﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، لأن المعنى تكلمهم طفلاً، ﴿وَكَهَلًا﴾ إلا أن (في المهد) فيه دليل على حد من الطفولة، وقيل روح القدس: جبريل - عليه السلام -، أيد به لتثبيت الحجة. فإن قلت: ما معنى قوله: (في المهد وكهلاً)؟ قلت: معناه تكلمهم في هاتين الحالتين، من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء، ﴿وَالْتَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ خصاً بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة، لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة، وقيل: (الكتاب) الخط، و (الحكمة) الكلام المحكم الصواب، ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: هيئة مثل هيئة الطير، ﴿بِإِذْنِي﴾: بتسهيلي، ﴿تَنْفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى - عليه السلام - وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها؛ لأنها ليست في خلقه ولا من نفخه في شيء، وكذلك الضمير في «فتكون»، ﴿تُخْرِجُ الْمَوْتُومَ﴾: تخرجهم من القبور وتبعثهم. قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ يعني اليهود حين هموا بقتله، وقيل: لما قال الله تعالى لعيسى. ﴿أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد يقول: مع كل يوم رزقه، لم يكن له بيت فيخرب، ولا ولد فيموت، أينما أمسى بات.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَارْتَضُوا قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٦﴾﴾
 إِذْ قَالَ الْخَوَارِجِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ
 أَتَمُّوْا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ
 صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
 السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي
 مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَلَمَّا يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾: أمرتهم على ألسنة الرسل، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون، من أسلم وجهه لله، ﴿يَعْيسَى﴾ في محل النصب على إتباع حركة الابن، كقولك: يا زيد بن عمرو، وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموماً كقولك: يا زيد بن عمرو، والدليل عليه قوله [من المتقارب]:

أَحَارِبَنَّ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمْرٌ وَيَبْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمِرُ^(١)
لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم. فإن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾
بعد إيمانهم وإخلاصهم^(٢)؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى

(١) أحار بن عمرو كأني خمر وعبدو على المرء ما يأتمر
ولا وأبيك ابنة العامري ي لا يدعي القوم أني أفر

لامرء القيس بن حجر. وقيل: لربيعة بن جشم اليمنى. والهمزة للنداء. و«حار» مرخم، أصله
حارث ضم على لغة من لا ينتظر المحذوف. واللغة المشهورة معاملته معاملة التام، كما أن
المشهور أيضاً فتح العلم المنادى الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر إبتاعاً لنصب ابن. ويجوز
ضمه كما هنا، لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم لأن المفتوح إبتاعاً كالموكب مع ما بعده.
والترخيم لا يأتي في الوسط، ولأنه لو كان مفتوحاً وضم في الترخيم لكان فيه إخلال بالفتح
المجتلية للناسب. والخمر - كحذر -: الذي خالطه داء فغطى عقله. والخمر - كسبب -: كل ما
ستر من بناء أو شجر. ثم تذكر السبب في ذلك وهو مطاوعته ما لا تنبغي مطاوعته فقال: ويعدو
على الإنسان اتتماره، أي امتثاله لأمر غيره. ويجوز أن «ما» موصولة، أي الذي يمثله من أمر من لا
يعرف عواقب الأمور، أو من أمر نفسه وهواه. وشبه ذلك بمن يصح منه العدوان، على طريق
الكناية. ويروى «ويدو على المرء» أي يشرف عليه ويظهر له عافية امتثاله لما لا ينبغي امتثاله.
وكثير ينشد فاصلتي هذا البيت بالتونين العالي، لكن أنكروه الزجاج والسيرافي، لأنه يكسر الوزن.
وجعله ابن يعيش من تنوين الترثم، بناء على أنه لجلب الترثم لا لقطعه، فلا يختص بالقوافي،
المطلقة، بل يدخل المقيدة كما هنا. والمشهور تحريك ما قبله بالكسر. واختار ابن الحاجب
الفتح. وجوز بعضهم تحريكه بما كان يستحقه لولا السكون. وبعض أجاز اجتماع الساكنين.
ودخول «لا» النافية قبل القسم سائغ شائع في لسان العرب، لأنه غالباً يكون لرد دعوى الخصم
ونفيها. فالتقدير: ولا يحصل ذلك وحق أبيك، ولو كانت زائدة محضاً لكانت الواو في التقدير
داخلة على واو القسم. وروي بحذف الواو الأولى: أي وحق أبيك يا ابنة العامري لا أفر من
الحرب أصلاً، فلا يدعيه أحد علي. فنفى الادعاء كتابة عن نفي الفرار على أبلغ وجه.

ينظر ديوانه ص (١٥٤)، خزانة الأدب ١/٣٧٤، الدرر ٥/١٧٩، لسان العرب (أمر) (خمر)
(نفس)، المقاصد النحوية ١/٥٩، وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص (٤٠٤)، وبلا نسبة في
شرح الأشموني ١/١٢، المقتضب ٤/٢٣٤، معجم الهوامع ٢/١٤٣، الدر المصون ٢/٦٤٦.

(٢) قال محمود: «فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم - في قوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ
إِلَى الْحَارِثِيِّنَ أَنْ آيِسُوا بِ وَرَسُولِي قَالُوا أَمَّا نَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ - قال: قلت ما وصفهم بالإيمان
والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما... إلخ» قال أحمد: وقيل إن معنى (هل يستطيع) هل يفعل،
كما تقول للقدار على القيام: هل تستطيع أن تقوم: مبالغة في التقاضي. ونقل هذا القول عن
الحسن، فعلى هذا يكون إيمانهم سالماً عن قدح الشك في القدرة، فإن استقام التعبير عن الفعل
بالاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد وعلى عكسه التعبير عن إرادة الفعل بالفعل، تسمية بالسبب
الذي هو الإرادة، باسم المسبب الذي هو الفعل، في مثل قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) وقد مضى
أول السورة. وفي هذا التأويل الحسن تعضيد لتأويل أبي حنيفة، حيث جعل الطول المانع من نكاح
الامة وجود الحرة في العصمة. وعدمه ألا يملكك عصمة الحرة وإن كان قادراً على ذلك، فتباح له
حينئذ الامة. وحمل قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَصْحَحَ الْمُحَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ على =

ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ فَأَذِنَ أَنْ دَعَوَاهُمْ كَانَتْ بَاطِلَةً، وَأَنَّهُمْ كَانُوا شَاكِينَ، وَقَوْلُهُ: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) كَلَامٌ لَا يَرِدُ مِثْلُهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مَعْظَمِينَ لِرَبِّهِمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَهُمْ مَعْنَاهُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَشْكُرُوا فِي اقْتِدَارِهِ وَاسْتَطَاعَتِهِ، وَلَا تَفْتَرِحُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَتَحَكَّمُوا مَا تَشْتَهُونَ مِنَ الْآيَاتِ فَتَهْلِكُوا إِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعْدَهَا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إِنْ كَانَتْ دَعَاؤُكُمْ لِلْإِيمَانِ صَحِيحَةً، وَقُرِءَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ»، أَي: هَلْ تَسْتَطِيعُ سُؤَالَ رَبِّكَ، وَالْمَعْنَى: هَلْ تَسْأَلُهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ صَارِفٍ يَصْرِفُكَ عَنْ سُؤَالِهِ، وَالْمَائِدَةُ: الْخَوَانُ^(١) إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ، وَهِيَ مِنْ (مَادَةٍ) إِذَا أُعْطِيَ وَرَفَدَهُ كَأَنَّهَا تَمِيدُ مِنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ، ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: نَشْهَدُ عَلَيْهَا عِنْدَ الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ نَكُونُ مِنَ الشَّاهِدِينَ اللَّهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِكَ بِالنَّبُوءَةِ، عَاكِفِينَ عَلَيْهَا، عَلَى أَنْ «عَلَيْهَا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَكَانَتْ دَعَاؤُهُمْ لِإِرَادَةِ مَا ذَكَرُوا كَدَعَاؤِهِمُ الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ، وَإِنَّمَا سَأَلَ عَيْسَى وَأَجِيبَ لِيَلْزِمُوا الْحُجَّةَ بِكَمَالِهَا وَيُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ إِذَا خَالَفُوا، وَقُرِءَ: «وَيَعْلَمُ»، بِالْبَاءِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. «وَتَعْلَمُ». «وَتَكُونُ»، بِالْتَاءِ، وَالضَّمِيرُ لِلْقُلُوبِ، ﴿اللَّهُمَّ﴾ أَصْلُهُ يَا اللَّهُ. فَحُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ، وَعَوِضَتْ مِنْهُ الْمِيمُ، وَ﴿رَبَّنَا﴾: نِدَاءٌ ثَانٍ، ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أَي: يَكُونُ يَوْمَ نَزْوِلُهَا عِيدًا. قِيلَ: هُوَ يَوْمُ الْأَحَدِ، وَمِنْ ثَمَّ اتَّخَذَهُ النَّصَارَى عِيدًا، وَقِيلَ: الْعِيدُ السَّرُورُ الْعَائِدُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: يَوْمَ عِيدٍ. فَكَأَنَّ مَعْنَاهُ: تَكُونُ لَنَا سُرُورًا وَفَرَحًا، وَقُرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: «تَكُنْ»، عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، وَنَظِيرُهُمَا. «يَرْتُنِي» «وَيَرْتُنِي»، ﴿لَاؤُلُنَا وَأَخْرَانَا﴾: بَدَلٌ مِنْ «لَنَا» بِتَكَرُّرِ الْعَامِلِ، أَي: لِمَنْ فِي زَمَانِنَا مِنْ أَهْلِ دِينِنَا، وَلِمَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا، وَقِيلَ: يَأْكُلُ مِنْهَا آخِرُ النَّاسِ كَمَا يَأْكُلُ أَوْلَهُمْ، وَيَجُوزُ لِلْمَقْدَمِينَ مِنْهُ وَالْآتِبَاعَ، وَفِي قِرَاءَةِ زَيْدٍ: «لَاؤُلَانَا وَأَخْرَانَا»، وَالتَّأْنِيثُ بِمَعْنَى الْأُمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، ﴿عَذَابًا﴾: بِمَعْنَى تَعْذِيبًا، وَالضَّمِيرُ فِي (لَا أَعْذِبُهُ) لِلْمَصْدَرِ، وَلَوْ أُرِيدَ بِالْعَذَابِ مَا يَعْذِبُ بِهِ - لَمْ يَكُنْ بَدَلًا مِنَ الْبَاءِ، وَرَوَى أَنَّ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا أَرَادَ الدَّعَاءَ لَبَسَ صُوفًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا، فَنَزَلَتْ سَفْرَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ: غَمَامَةٌ فَوْقَهَا وَأُخْرَى تَحْتَهَا، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَبَكَى عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا مِثْلَةَ وَعَقُوبَةٍ، وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقْمَ

= معنى: ومن لم يملك منكم، وحمل النكاح على الوطء، فجعل استطاعة الملك المنفية هي الملك كما ترى، حتى أن القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الأمة، وقد مضى ذكر مذهبه، وكنت أستبعد إنهاءه لأن يكون تأويلاً يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال، حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله أعلم.

(١) قوله «والمائدة الخوان» في الصحاح «الخوان» بالكسر: الذي يؤكل عليه، معرب. وقوله «من مائة» الذي في الصحاح «ماد الشيء» تحرك. و«مادت الأغصان» تمايلت اهـ. (ع)

أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها. فقال شمعون رأس الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيئ دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكزاث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، كلوا ما سألتهم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله، فقال الحواريون: يا روح الله، لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال: يا سمكة احبي بإذن الله، فاضطربت. ثم قال لها: عودي كما كنت، فعادت مشوية. ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير، وروي أنهم لما سمعوا بالشريعة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَدُّ يَنْكُرْ فَأَيُّ آيَةٍ أُعَذِّبُهُ﴾ قالوا: لا نريد فلم تنزل، وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكان عيداً إلى يوم القيامة، لقوله: (وآخرنا)، والصحيح أنها نزلت.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيْ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِيْ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٧﴾﴾

﴿سُبْحٰنَكَ﴾ من أن يكون لك شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما ينبغي لي، ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولاً لا يحق لي أن أقوله، ﴿فِي نَفْسِي﴾ في قلبي. والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه، فقيل: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ لقوله في نفسي، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: تقرير للجملتين معاً، لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

(أن) في قوله، ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(١) إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر،

(١) قال محمود: «أن في قوله (أن اعبدوا) إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر... إلخ» قال أحمد: وقد أجاز بعضهم وقوع «أن» المفسرة بعد لفظ القول، ولم يقتصر بها على ما في معناه، =

والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر، وكلاهما لا وجه له. أما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير، لا تقول: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، ولكن: ما قلت لهم إلا اعبدوا الله، وأما فعل الأمر، فمستند إلى ضمير الله عز وجل^(١). فلو فسرت به «اعبدوا الله ربي وربكم» لم يستقم؛ لأن الله تعالى لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم، وإن جعلتها موصولة بالفعل^(٢) لم تخل من أن تكون بدلاً من ما أمرتني به، أو من الهاء^(٣) في به، وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه، ولا يقال: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته؛ لأن العبادة لا تقال،

= فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيراً لفعل القول. وقد أبى الزمخشري في مفصله وقوعها إلا بعد فعل في معنى القول كمنهجه هنا.

(١) عاد كلامه. قال: «وأما فعل الأمر فمستند إلى ضمير الله عز وجل... إلخ» قال أحمد: ويجوز أيضاً هذا الوجه على صرف التفسير إلى المعنى، كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى، وكان الله تعالى قال له: مرهم بعبادتي، أو قال لهم على لسان عيسى: اعبدوا الله رب عيسى وربكم، فلما حكاه عيسى عليه السلام قال: اعبدوا الله ربي وربكم، فكنتي عن اسمه الظاهر بضميره، كما قال الله تعالى حكاية عن موسى ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَغِيْبُ رَبِّي وَلَا يُنْسَى﴾^(٤) أَلَيْسَ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿ فانظر كيف جاء أول الكلام حكاية لقول موسى، وموسى لا يقول: فأخرجنا. ولكن فأخرج الله، فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام إليه تعالى، وأضاف الإخراج إلى ذاته على طريقة المتكلم لا المحاكي، وكذلك قوله تعالى ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيْزُ الْعَلِيْبُ﴾ إلى قوله ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْمَنًا﴾ ونظائره كثيرة. وقد قدمت نحواً من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿إِنَّا قَتَلْنَا النَّاسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ لما استبعد الزمخشري أن تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإن جعلت أن موصولة مع فعل الأمر... إلخ» قال أحمد: أي فلا يقدر بالعبادة ولكن بالأمر بها، كأنه قيل: ما قلت لهم إلا الأمر بالعبادة لله، والأمر مقول لقلت، على أن جعل العبادة مقولة ليس ببعيد، على طريقة ﴿مُّمَّ يَعُوْدُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي للوطء الذي قالوا ولا يتعلق به. وكقوله تعالى ﴿وَوَرِّثْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾^(٥) وسيأتي له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيراً في القرآن الكريم.

(٣) عاد كلامه. قال: «وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء لأنك... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً غير مانع من البدل، وإنما يواجه المصنف بما لا يسهه إنكاره، فقد قال في مفصله ما هذا نصه: وقولهم: إن البدل في حكم تنحية الأول، إيدان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته للتأكيد والصفة في كونها اسمين لما يتبعانه، لا أن يعنوا إهدار الأول وإطراحه. ألا تراك تقول: زيداً رأيت غلامه رجلاً صالحاً، فلو ذهبت إلى إهدار الأول لم يستد كلامك. فانظر كيف يرد كلامه في المفصل وهو الحق ما ارتكبه من رد البدل في هذه الآية. للزوم طرح الأول فتخلو الصلة من الضمير: ولم يجعل هذا القدر مانعاً في المثال المذكور. مع أنك لو طرحت الأول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يستد الكلام. فهذه وجوه أربعة منعتها في إعراب «أن» وكلها مستندة حسماً بينا. وهذه المساجلة في هذا الإعراب من الغرر والحجول في صناعة الإعراب وعلم البيان. وفرسان هذا المضمار قليل.

وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء لأنك لو أقمت (أن عبدوا الله) مقام الهاء، فقلت: إلا ما أمرني بأن عبدوا الله، لم يصح، لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته. فإن قلت: فكيف يصنع؟^(١) قلت: يحمل فعل القول على معناه؛ لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرني به). ما أمرتهم إلا بما أمرني به، حتى يستقيم تفسيره بـ «أن عبدوا الله ربي وربكم» ويجوز أن تكون (أن) موصولة^(٢) عطف بيان للهاء لا

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت كيف يصنع؟ قلت: يحمل فعل... إلخ» قال أحمد: هذا التأويل لتوقع أن المفسرة بعد فعل في معنى القول، وليس قولاً صريحاً. وحمل القول على الأمر مما يصحح المذهب الآخر في إجازة وقوعها بعد القول، فإنه لولا ما بين القول والأمر من التفاوت المعنوي. لما جاز إطلاق إحداهما وإرادة الأخرى. والعجب أن الأمر قسم من أقسام القول، وما بينهما إلا عموم وخصوص. وليس في هذا التأويل الذي سلكه إلا كلفة لا طائل وراءها. ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول. لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول. ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول؛ لأن ذلك كالعود إلى ما وقع القرار منه وهم بعداء من ذلك.

(٢) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن تكون أن موصولة... إلخ» قال أحمد: يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البديل وخلو الصلة حينئذٍ من العائد. وقد بينا أن ذلك غير لازم في البديل. والعجب أنه أيضاً في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبديل، إلا في مثل قول المرار [من الوافر]:

أنا ابن التشارك البكري بشر

لأنه لو جعله بدلاً للزم تكرير العامل، وإضافة اسم الفاعل المعرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول. وأما الثاني فالتوضيح. والمعتمد في البديل الثاني. وأما الأول فبساط لذكره، لا على أنه مطرح مهدر. قال محمود «إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية. أما أهل السنة، فالمغفرة للكفار جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلاً، بل عقاب المتقي المخلص كذلك غير ممنوع عقلاً من الله تعالى، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي. وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكفار ممنوعة عقلاً، لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة، فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة «إن» المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلاً، ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال، كأن يبض القار وأشباهه. وليس هذا مكان. فقول الزمخشري إذا (إن يغفر لهم) لم يعدم وجهاً من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلاً لا يأتلف بقواعد السنة، إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلي، ولا يأتلف أيضاً بنزعات القدرية، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكفار، ويقطعون بمنافاتها الحكمة، فكيف يخاطب الله تعالى به، فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الأدب، فإن قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذراً ووجهاً من المصلحة كلام مبدول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب.

... .. بدلاً^(١)، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيباً كالشاهد على المشهود عليه، ممنوعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به، ﴿فَلَمَّا تَوَقَّعْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل، ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدٌ﴾ الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَغْفِرُ﴾: القوي القادر على الثواب والعقاب، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم)؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَطْمَئِينُ ﴿١١٥﴾﴾

قرىء: «هذا يوم ينفع» بالرفع والإضافة، وبالنصب إما على أنه ظرف لـ «قال»: وإما على أن (هذا) مبتدأ، والظرف خبر، ومعناه: هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع، ولا يجوز أن يكون فتحاً، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ﴾ [الانفطار: ١٩] لأنه مضاف إلى متمكن، وقرأ الأعمش: «يوم ينفع» بالتونين، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْقَرُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهِ نَفْسٌ﴾

(١) قال السمين الحلبي: وما اختاره الزمخشري وجوزّه غيره لا يصح، لأنها جاءت بعد «إلا»، وكل ما كان بعد «إلا» المستثنى بها فلا بد أن يكون له موضع من الإعراب، و«أن» التفسيرية لا موضع لها من الإعراب. انتهى.

قلت: أمّا قوله: «إن ربي وربكم من كلام عيسى» ففي غاية ما يكون من البعد عن الأفهام، وكيف يفهم ذلك الزمخشري والسياق والمعنى يقودان إلى أن «ربي» تابع للجلالة؟، لا يتبادر للذهن - بل لا يقبل - إلا ذلك، وهذا أشد من قولهم «يؤدي إلى تهينة العامل للعمل وقطعه عنه» فآل قول الشيخ إلا أن «اعبدوا الله» من كلام الله تعالى و«ربي وربكم» من كلام عيسى، وكلاهما مفسر لـ «أمرت» المسند للباري تعالى. وأما قوله «يصح ذلك على حذف مضاف» ففيه بعض جودة، وأما قوله: «إن حلول البديل محل المبدل منه غير لازم» واستشهاده بما ذكره فغير منسجم، لأن هذا معارض بنصهم، على أنه لا يجوز «جاء الذي مررت به أبي عبد الله» بجزء «عبد الله» بدلاً من الهاء، وعملوه بأنه يلزم بقاء الموصول بلا عائد، مع أن لنا أيضاً في الربط بالظاهر في الصلة خلافاً قدّمنا التنبيه عليه، وبكفيّة كثرة قولهم في مسائل: «لا يجوز هذا لأن البديل يحل محل المبدل منه» فيجعلون ذلك علّة مانعة، يعرف ذلك من عانى كلامهم، ولو لا خوف الإطالة لأوردت منه مسائل شتى. وأما قوله: «وكل ما كان بعد «إلا» المستثنى به إلى آخره» فكلام صحيح لأنها إيجاب بعد نفي فيستدعي تسلط ما قبلها على ما بعدها. انتهى. الدر.

[البقرة: ٤٨] فإن قلت: ما معنى قوله: ينفع الصادقين صدقهم؟ إن أريد صدقهم^(١) في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل، وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه؛ لأنه في معنى الشهادة لعيسى - عليه السلام - بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة؟ قلت: معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم، وعن قتادة: متكلمان تكلما يوم القيامة. أما إبليس فقال: إن الله وعدكم وعد الحق، فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً، فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى - عليه السلام - فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٧)

فإن قلت: في السموات والأرض العقلاء وغيرهم، فهلا غلب العقلاء، فقيل: ومن فيهن؟ قلت: (ما) يتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً. ألا تراك تقول إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي وبصراني يتنفس في الدنيا» (٥٧٦).

٥٧٦ - تقدم، وينظر حديث (٣٤٦). وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: تقدم إسناده إلى أبي بن كعب في تفسير آل عمران. انتهى.

(١) قال محمود «إن قلت ما معناه، إن أريد صدقهم في الآخرة... إلخ» قال أحمد: ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير: هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، لكان أوضح طباقاً لتفسير قتادة، وأخرج لإبليس وأشباهه من هذا العموم؛ فإن إبليس وإن صدق في الآخرة، إلا لم يكن من الصادقين في الدنيا، فلم ينفعه صدقه في الآخرة، والوجهان متقاربان.